الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي – تبسة (الجزائر)

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

القسم: علـــم الاجتمـاع

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

علم النفس الجنائي

مقدمة للسنة: **الاولى ماستر**

تخصص: **علم اجتماع الانحراف والجريمة**

اعداد الدكتور: **شارف عماد**

الرتبة العلمية	أستاذ محاضر –أ–
التخصص	علم اجتماع الانحراف والجريمة
الجامعة	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي (تبسة)

السنـة الجامعيـة: 2023- 2024

محتوى المطبوعة

مدخـــــــــــــل

المحولا الأول: ماهية علم النفس الجنائي وعلاقته بالعلوم الأخرى.....01

1- مفهوم علم النفس الجنائي.....08

2- التطور التاريخي لعلم النفس الجنائي.....11

3- أهمية علم النفس الجنائي.....13

4- علاقة علم النفس الجنائي بالعلوم الاجتماعية.....17

المحور الثاني: النظريات النفسية لتفسير السلوك الاجرامي.....24

1- التفسير الفيسيولوجي أو الجبلي لنزعة الاجرام.....26

2- تفسير مدرسة التحليل النفسي للمجرم والجريمة.....37

المحور الثالث: الشخصية المضادة للمجتمع.....45

1- تعريف الشخصية المضادة للمجتمع.....47

2- سمات الشخصية المضادة للمجتمع.....50

3- أنواع الشخصية المضادة للمجتمع.....52

4- الأسباب المفسرة لسلوك الشخصية المضادة للمجتمع.....54

5- علاج اضطرابات الشخصية المضادة للمجتمع.....59

المحور الرابع: بعض الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوك الاجرامي.....66

1- الاضطرابات العصابية.....68

-النيوراستينيا.....70

-عصاب القلق.....71

-عصاب الوسواس القهري.....72
-الاستجابات التحولية.....74
-الهستيريا.....75
2- الاضطرابات الذهانية.....77
-الذهان الوظيفي.....79
-الذهان العضوي.....84
3-السادية والمازوخية.....85
قائمة المراجع.....**92**

1-الأهداف المقترحة

1-1الأهداف العلمية:

تعتبر مادة ومحتوى علم النفس الجنائي مكمل للمعارف السابقة المحددة في عرض تكوين ماستر علم اجتماع الانحراف والجريمة فبالإضافة الى التعرف على السببية المرتبطة بالعوامل الاجتماعية المؤدية الى السلوك الاجرامي، تعزز هذه المادة:

- اكتساب فهمًا لما هو جريمة وكيف يتم قياسها.
- فهم وتحليل تقاطع علم النفس الجنائي مع مختلف التخصصات الأخرى
- الاعتراف بأهمية مستويات التحليل والأنواع المختلفة من التفسيرات التي ترتبط بها.
- اكتساب فهم أعمق حول الأنواع الرئيسية للتفسير بما في ذلك:
- النهج التطوري
- النهج النفسي
- النهج البيولوجي
- النهج الوضعي
- التعرف على مختلف الاضطرابات العصابية والذهانية المؤثرة على السلوك.
- تحديد عناصر المسؤولية الجنائية.

1-2الأهداف البيداغوجية

بالإضافة الى الجوانب العلمية يساعد الطالب على تشكيل رؤية شاملة ومكتملة على تخصصه.

مدخـــــــــــــل:

لقد كانت الجريمة منذ القرن الثامن عشر موضوع للطب والطب العقلي قبل أن تتحول الى موضوع خاص بعلم الاجرام، ولقد أقر **فوكو** في كتابه الشهير **المراقبة والعقاب** 1975 أن ظهور علم الاجرام كان ضمن تقاطع دراسة الجريمة كموضوع قانوني والبدايات العلمية الأولى لدراسة الانسان، ومما لا شك فيه، أن علم النفس كان حاضرا في أعمال **لومبروزو** الأخيرة وبالتحديد الطب العقلي.

لكن في الحقيقة يرجع الفضل الى التحليل النفسي في دراسة شخصية الجانح، وقد نجد في وصف **بيناتال** تحديدا أمثل لعلم النفس الجنائي الذي يدرس الذكاء، الطبع، المؤهلات الاجتماعية والمواقف الأخلاقية للجانحين باللجوء الى الاختبارات النفسية وحتى علم النفس الاكلينيكي، لدراسة دوافع الفعل الجرمي والعمليات العقلية التي تدفع الشخص للمرور الى الفعل. وتتقاطع هذه الاخيرة مع الطب العقلي عندما تتناول المظاهر المرضية للسلوك الاجرامي، المنبثقة عن بعض الاضطرابات الجنسية، وترقى أخيرا الى علم النفس الاجتماعي الذي يهتم بالعلاقات مابين الافراد مع المزاوجة في التحليل بين ثنائية مجرم/ضحية، ويسعى أخيرا الى اعطاء مؤشرات علاجية، بيداغوجية ووقائية للجانحين.

لقد انتقد علماء التحليل النفسي بشدة التفسيرات المقدمة خاصة من طرف المدرسة الوضعية للمجرم، اذ يقول **فرنزي** أن علم الاجرام حاليا يركز نظريا على العامل الوراثي والمحيط وعلى المستوى التطبيقي على الجانب البيداغوجي والاقتصادي، بعبارة أخرى نجد بأن علم الاجرام قد استنفذ كل ما لديه نظريا أما على المستوى التطبيقي فقد أصبح سطحي ويتعارض مع الحتمية البيولوجية المدافع عنها، خاصة بتجاهله أهم العوامل الدافعة الى الاجرام وهي توجهات الحياة النفسية اللاشعورية وما يناقضها.

كما سعى كل من **يانج وبلولر** الى تطبيق تقنية الخبرة التشاركية لتحديد المسؤولية الجنائية من عدمها. الا أن صاحب الفضل على علم النفس الجنائي هو **فرويد** من خلال تركيزه منذ سنة 1901 على الفعل القضائي والمجرم، وتساءل منذ ذلك الحين على قوة الشهادة، واقترح نموذجين تحليليين: الأول يتمحور حول الشخصية الجانحة والثاني يسعى لتشكيل نموذج عملياتي للدافع الاجرامي يشمل الفعل الجرمي كمحرر للضغط الداخلي.

المحور الأول:

ماهية علم النفس الجنائي

وعلاقته بالعلوم الأخرى

تمهيد:

لا شكّ أنه قبل التطرّق إلى عناصر أكثر تفصيلًا حول موضوع أو تخصّص معيّن، يتعيّن تحديد ماهيته والعناصر المكوِّنة له. وعليه، يتضمّن هذا المحور عرضًا لماهية علم النفس الجنائي، ومختلف التسميات والتخصّصات ذات الصلة به، مع تبرير أسباب اختلاف هذه التسميات. كما يتناول المسارات التاريخية لتطوّر هذا الحقل المعرفي، وصولًا إلى إبراز علاقته بالتخصّصات الأخرى.

قبل الحديث عن ماهية علم النفس الجنائي وجب علينا أيضا أن نلقي نظرة وجيزة على مفهوم الجريمة ثم مفهوم علم النفس حتى نؤسس لنظرة عامة قادرة على الجمع بين العلم والسلوك على حد سواء من دون اتخاذ موقف في ذلك لعدة اعتبارات ابستيمولوجية معرفية قد يطول شرحها.

تعريف الجريمة:

ان الجريمة بمفهومها العام هو كل فعل مخالف للقوانين التي تنص صراحة على تحديد الفعل المعاقب عليه، بطبيعة الحال النظرة الجنائية للفعل الجرمي نسبية لأن الأفعال المجرَمة في رقعة جغرافية معينة بموجب قوانينها قد لا تكون كذلك في رقعة جغرافية أخرى.

تكمن الأهمية المادية للفعل الجرمي وفق القواعد المحددة في القانون الجنائي، وبالتالي لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص قانوني كما هو هو محدد في التشريع، لكن الأهم من ذلك هو خضوع الصفة العقابية للقاعدة القانونية للزمان والمكان، ففي بعض المجتمعات قد يعتبر مثلا التعدي على القيم الدينية، من أهم القضايا التي يعاقب عليها القانون، بالمقابل قد ينصب الاهتمام حول حماية الملكية الخاصة في مجتمعات أخرى، كما أن هناك من الأفعال التي كانت مجرَمة بشدة، في عصور سابقة، كالسحر مثلا، نجدها اليوم تكاد تخلو منها العديد من القوانين. هذا المبدأ قام على أساسه العالم الايطالي **غاروفالو (Garofalo)** بنقد القانون الجنائي، وحاول تفسير السلوكيات المنحرفة بطريقة شمولية، أي إعطائها الصفة العالمية بالبحث عن الجنح الطبيعية**(Délit naturel)**، والتي تتميّز بانتهاك المشاعر الأساسية من التقوى والاستقامة، والمتوارثة عن طريق الأجداد لسلالة معينة، حيث نجدها في كل مكان، والجرائم العرضية التي تتغير من مكان وزمان إلى آخر.

نجد في الطرح الذي قدمه **قاسين (Gassin)** محاولة لاكتشاف التشابه الحاصل في الأفعال والسلوكيات المعاقب عليها بموجب النصوص القانونية والمحظورة عالميا، وهو معطى معياري يحتكم إليه موجود في الضمير الجمعي منذ أقدم العصور، مثلا القتل والسرقة، كانا ولا يزالان جريمتين محظورتين في كل المجتمعات أي أنهما يحملان صفة الثبات كونهما يضمان العنف والمكر في ارتكابهما و يسببان اختلالا في التوازن في علاقة الفاعل بالضحية. وهذا الطرح ليس بجديد تماما، ففي دراسة قام بها مجموعة من العلماء :**وولفجانج، سيلين وآخرون (Wolfgang , Sellin et Coll)** سنة **1977** على عينة تظم **50000** مواطن أمريكي حول درجة الخطورة لمجموعة من الأفعال الاجرامية، كان الغرض منها تحديد مفهوم الجريمة كما هو محدد في الوعي المشترك للأفراد، أظهرت نتائج الاستطلاع أن المتغيرات الرئيسية التي أخذت بعين الاعتبار من طرف المبحوثين في أحكامهم من خطورة هي:1مدى الضرر اللاحق بالسلامة الجسدية2 الأخطار المحتملة3 وسائل العنف المستعملة4 الضعف النسبي للضحية5 أضرار المخدرات6 نية المذنب. (Cusson,1998 :33)

ما تم استخلاصه من خلال نتائج هذه الدراسة أن أغلبية الأفعال التي حازت على درجة عالية من الخطورة في نظر المبحوثين هي أفعال عنيفة كالقتل والاغتصاب وتفجير أماكن عمومية...أما الاختلاسات وكل ما يتعلق بجرائم النظام الاقتصادي لم تحض بدرجة عالية من الاتفاق رغم ما تسببه من أضرار اجتماعية، الخلاصة المتوصل إليها، أن خطورة هذه الجرائم المتفق عليها تجمع بين الضرر الظاهر ودرجة اللاعدالة في الفعل وهي الفكرة التي تكلم عنها أرسطو في كتابه **(L'éthique à nicomaque)** عندما يصف بعض الجرائم كالقتل والتسميم والاغتصاب والسرقة مثلا بأنها تنفي مبدأ العدالة التعاقدية ومبدأ المعاملة بالمثل وعلى القاضي أن يعالج هذه اللامساواة بالعقاب المناسب للضرر الحاصل ويضيف

في نفس الوقت أن ما يميز مثلا هذه الأفعال عن البقية ويزيد من خطورتها، هي العنف والمكر والتخفي. (Cournarie,2007 :24)

ومع ذلك يبقى جانب من التحفظ قائم على هذا الطرح بفعل التيارات النقدية والحديثة في علم الاجرام التي تحاول التخلص من الدائرة الضيقة للتعريف القانوني لموضوعها وتوسيع الرؤى الى كل الأفعال التي تسبب ضررا اجتماعيا.

باختصار، تعتبر الجريمة فئة من الأعمال المبنية اجتماعيًا، بدلاً من أن تكون ميزة "معطاة" أو فعل خالص. يمكننا الإشارة الى مجموعة من الأمثلة مثل استخدام مختلف المخدرات، والقمار، والشذوذ الجنسي، والدعارة، والاغتصاب التي تعتبر كلها أعمال إجرامية وانحرافية تتفاوت عقوباتها من قانون الى آخر ومن سياق الى آخر.

قد يثير هذا الطرح مشكلة ظاهرية بالنسبة للتفسيرات النفسية للسلوك الجنائي. كما يلاحظ وورتلي (Wortley 2011, p. 4)، "إذا كان شخص ممكن أن يكون مجرمًا اليوم وليس غدًا لارتكابه نفس السلوك، فكيف يمكن قول أي شيء ذو دلالة عن طبيعته الجنائية". لمعالجة هذه المسألة، اقترح عالم الاجرام روبرت أجنيو (Agnew,2011.187) أن يُعرَف الجريمة على أنها "أعمال تسبب ضررًا يستحق اللوم، الاستنكار من قبل الجمهور، و/أو العقاب من طرف الدولة". يساعد هذا التعريف في نقل العبء بعيدًا عن الأعمال التي يحظرها القانون حاليًا إلى مجموعة أوسع من السلوكيات الضارة. وكوسيلة مشابهة لحل هذه المشكلة هو التركيز بشكل أوسع على السلوك "المنحرف" أو "المضاد للمجتمع" – أي السلوك الذي ينتهك المعايير الاجتماعية – بدلاً من السلوك الجنائي بحد ذاته.

-تعريف علم النفس

في أصل الكلمة يعني علم النفس علم الروح: باليونانية Psyché (الروح) logos (خطاب، علم). بشكل تقليدي، يُعرف علم النفس على أنه "علم الحقائق النفسية(Demont,2009)."

أما في سياق آخر فيعرف علم النفس على أنه "علم العمليات العقلية والسلوك" (Kosslyn & Rosenberg, 2004, p. 4).

تعريف علم النفس اصطلاحا

لقد تعددت تعاريف علم النفس واختلفت وذلك وفقا لاتجاهات علماء النفس المختلفة، ويمكن اجمال هذه التعريفات فيما يلي:

-علم النفس هو دراسة السلوك والسلوك هو مجموعة أفعال الكائن الداخلية والخارجية وينقسم الى قسمين: السلوك الملاحظ والسلوك غير الملاحظ.

السلوك الملاحظ: يمكن التعرف عليه عن طريق المشاهدة، ومن الأمثلة على ذلك الحركة الحديث، المشي، الضحك...الخ.

السلوك غير الملاحظ: لا يمكن ادراك هذا السلوك بالمشاهدة وامثلة هذا النوع كثيرة وهي الألم، الجوع، الخوف، الحزن.

-علم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك والعمليات العقلية، ويقصد بها الادراك والتعلم والتذكر، والتفكير وحل المشكلات، ويتفق مع هذا التعريف أغلب علماء النفس.(القشاعلة،2021 :10)

علم نفس النمو

يهتم علم نفس النمو بجميع الخصائص النفسية التي تظهر نموًا، إما منذ ولادة الفرد، كالذكاء؛ أو أثناء نضجه، كاللغة، والوعي الأخلاقي، والتنشئة الاجتماعية. إحدى نظريات النمو التي تثير الكثير من الاهتمام في علم الإجرام تتعلق بتطور القدرات العلائقية. يُعرف هذا الفرع من علم نفس النمو باسم نظرية التعلق، ويرتبط بأعمال بولبي (1969، 1973، 1980)، وهي الأعمال التي خضعت بشكل خاص للتجريب العملي من قبل آينسورث (1978).

الاكلينيكية النفسية والجنائية:

إن تأثير الممارسة على المعرفة المكتسبة له أهمية كبيرة وهو موضوع تخصص في كل من علم النفس وعلم الإجرام. وهكذا، فإن كلمة "عيادي" تشير إلى تطبيق المعرفة النفسية والإجرامية على شخص أو زوجين أو أسرة، لأغراض التشخيص أو العلاج. وعلى غرار ذلك، فإن الطب هو مجال ممارسة سريرية مقارنة بعلم الأحياء، على سبيل المثال. بمعنى أنه في الطب، يتم تطبيق بعض المعارف ذات الصلة من التخصصات والتخصصات الفرعية ذات الصلة مثل علم الأحياء أو علم التشريح أو علم الجراثيم على فرد معين بهدف تقييم حالته البدنية، وعند الاقتضاء، علاجه.

في المجال الجنائي، يُعهد إلى عالم الجريمة السريري بمهمة تقييم ومعالجة الأفراد الذين يعانون من مشاكل تتعلق بالإجرام. ومع ذلك، في الممارسة العملية، يقوم علماء الجريمة السريريون بتقييم ومعالجة ليس فقط الجناة والمحتجزين، ولكن أيضًا الأفراد الذين يعيشون في وضع اجتماعي هامشي، مثل مدمني المخدرات أو الأشخاص المشردين، وكذلك ضحايا الأعمال الإجرامية أو الجنح.

يستخدم عالم الجريمة في ممارسته السريرية، طرق تقييم مختلفة وأنماط علاج متعددة. يستخدم علماء الجريمة السريريون شبكات المراقبة وتقنيات المقابلات الخاصة وأدوات قياس متنوعة لتحديد جانب أو جوانب من الأداء النفسي والتكيف الاجتماعي للفرد.

ربما يكون العلاج النفسي الفردي هو الأكثر شهرة من بين أساليب العلاج التي يستخدمها الأخصائي في علم النفس وعلم الجريمة، ومع ذلك، فقد تم تطوير عدة أشكال أخرى من العلاج لتلبية الأهداف المتنوعة والاحتياجات المختلفة في علم الاجرام، بما في ذلك العلاج الجماعي والعلاج البيئي. جزء من مهمة الأخصائي هو تقييم مدى ملاءمة التوصية بأي شكل من أشكال العلاج للشخص الذي يستشيره، بناءً على الأهداف المتوخاة والاحتياجات التي يعرضها هذا الشخص. لذلك، فإن العلاج البيئي وبرامج التدخلات التي تركز على سلوك معين، أو العلاج الجماعي والعلاج الأسري، هي جزء من ترسانة العلاجات المتاحة للأخصائيين(Casoni ,Brunet,2003 pp.18-21).

1-مفهوم علم النفس الجنائي:

تعتبر كتب علم الاجرام أقل اختصارًا أو انتظامًا في تعريف تخصصها، ولكن بشكل عام، يتم تعريف هذا الحقل المعرفي على أنه دراسة الجريمة والسلوك الجنائي وردَات الفعل (Newburn, 2013). ويشمل علم النفس الجنائي استخدام علم النفس كتخصص لتعزيز فهمنا لأسباب الجريمة. ويشير علم النفس هنا إلى التخصص الأكاديمي (الذي يشمل دراسة، من بين أمور أخرى، عمليات الدماغ، والتطور، والإدراك، والشخصية، والتأثير الاجتماعي، والثقافة) وليس فقط عملية تفكير الأشخاص وشخصيتهم كما هو الحال بالنسبة التحليل النفسي.

للأسف، على الرغم من وجود بعض الاتفاق بشأن حدود "علم النفس" و "علم الاجرام"، إلا أنه لا يوجد اتفاق مماثل بشأن ماذا يعنيه "علم النفس الجنائي"، اذ أن هناك عدد من المصطلحات التي تتداخل وتُستخدم أيضًا بما في ذلك "علم النفس الشرعي"، "علم الاجرام النفسي"، و"علم النفس الجنائي"، و"علم النفس القانوني."

قد تكون عوامل تحديد السلوك غير القانوني أو الجنائي متمثلة في صفات الشخصية الاستغلالية، وضعف السيطرة على الاندفاعات، والتحفيز العاطفي، والشخصية غير الناضجة، وما إلى ذلك. ولكن من الضروري، قبل التطرق لمناقشة النظريات النفسية، تقديم نظرة عامة موجزة عن المصطلحات المستخدمة لوصف الدراسات النفسية للجريمة والجنوح.

يعتبر علم النفس الشرعي، واحد من أسرع الفروع نموًا في علم النفس، وهو تطبيق معارف ومهنة علم النفس على المسائل والقضايا المتعلقة بالقانون والنظام القانوني. ويشار في بعض الأحيان إلى علم النفس الشرعي بأنه علم النفس الجنائي، ويُطلق على علماء النفس الشرعيين أيضًا "علماء نفس الجنايات"، "علماء نفس السجون"، و"علماء نفس الشرطة". على عكس علماء النفس الشرعيين (الذين يحملون عادةً شهادات الدكتوراه)، يعتبر الأطباء النفسانيون الشرعيون أطباء نفسانيين، وعلم الطب النفسي الشرعي تخصص فرعي طبي يطبق فيه علم الطب النفسي للحد من الجريمة، وإعادة تأهيل المجرمين، وحل قضايا القانون الجنائي.(Schmalleger,2014,p65)

بالنسبة لبعض الباحثين (على سبيل المثال، بلاكبيرن، 1996)، يشير مصطلح "علم النفس الشرعي" Forensic psychology بشكل خاص إلى تطبيق علم النفس على النظام القانوني، كما يتضح من أصل كلمة "شرعي"، أي أنه "متعلق بالمحاكم". ويقدم بعض العلماء تفسيرًا أضيق لـ "علم النفس الشرعي" كممارسة علم النفس السريري في النظام القانوني" (Huss, 2009, p. 5). وأحيانا أخرى، يُستخدم مصطلح "علم النفس الشرعي" بشكل أوسع أيضًا

لاحتضان تطبيق علم النفس على كل ما يتعلق بالجريمة، بما في ذلك فهمنا لأسباب الجريمة. يقترح البعض على سبيل المثال أن علم النفس الشرعي هو حقل واسع يضم اتجاهان رئيسيان: **علم النفس القانوني** الذي يغطي تطبيق المعرفة النفسية والأساليب البحثية على عمليات القانون **وعلم النفس الجنائي** الذي يتناول تطبيق النظريات والأساليب النفسية لفهم (والحد من) السلوك الجنائي.

وبشكل أوسع، يُشار أحيانًا إلى تطبيق علم النفس على التحقيق في الجريمة وخاصة تحليل سلوك المجرمين باسم "علم النفس التحقيقات" (Canter & Youngs, 2009)، أو عند استخدام علم النفس في تدريب واختيار عناصر الشرطة وأخيرًا، عندما يُستخدم علم النفس في سياقات السجون لتقييم وإعادة تأهيل المجرمين، اذ يُشار إليه غالبًا بـ "علم النفس التأهيلي (Bartol & Bartol, 2012)"

في النهاية، تعتبر التسميات مهمة لأنها يمكن أن تساعد على تحديد ما يعنيه أن تكون مجرمًا أو عالم نفس جنائي، وما يتوقعه الناس من هذا الدور. ومع ذلك، فمن الأفضل التفكير في المجالات الفرعية المحددة للتفسير والتطبيق، بدلاً من الانغماس في ما يجب استخدامه من تسميات. وبعبارة أخرى، يتم التركيز على ما اكتشفه النفسانيون حول طبيعة الجريمة وعمليات سير العدالة الجنائية وكيف يمكن تطبيق هذه المعرفة بشكل أكثر فائدة. وبالتالي، يستخدم مصطلح "**علم النفس الجنائي**" لتطبيق علم النفس كتخصص أكاديمي على فهمنا لأسباب السلوك الإجرامي (المعادل تقريبًا لاستخدام **وورتلي** لمصطلح "الجنائية النفسية" في عام 2011، أو استخدام **هولين** لمصطلح "علم النفس الجنائي" في عام 2013، عكس مصطلح "علم النفس الشرعي" الذي يصف تطبيق علم النفس على النظام القانوني.

2-التطور التاريخي لعلم النفس الجنائي

2-1-البدايات الأولى

مع اقتراب نهاية القرن التاسع عشر، فتح **ماكين كاتل** (1895) طريقًا جديدًا في مجال العلم الجنائي: أو ما يعرف ب**علم نفس الشهادة**. في دراسته التي أجراها في عام 1893. طلب كاتل من طلابه أن يتذكروا الطقس قبل أسبوع واحد. وكانت الإجابات متنوعة بشكل كبير، مما أكد الافتراضات المتعارف عليها منذ فترة طويلة بأن ذاكرة الشاهد قد تكون غير موثوقة بشكل ملحوظ (Cattell, 1895). أبرز كاتل (1895) القيمة العملية والتطبيقية لاكتشافاته على شهادات الشهود والخبراء النفسيين في قاعات المحكمة. قام **جوزيف جاسترو، ألفريد بينيه، ولويس ويليام ستيرن** بدورهم بإجراء تجارب مماثلة لتقييم الشهادة في المحاكم.

أكد شتيرن (1939) أن الشهادة المقدمة من طرف الخبراء في علم النفس هي "الحكمة النفسية الحقيقية التي يجب أن نسعى لدمجها في الممثلين المسؤولين عن القانون حول العالم"

خلال تلك الفترة، ظهرت مجلة أكاديمية مبكرة، تدعى مجلة ممارسة علم النفس الجنائي (1900-2016)، والتي كانت بمثابة المؤشر على استمرار تطور علم النفس الجنائي.

مع بداية القرن العشرين، اعترف كل من **سيغموند فرويد وهوغو مونستربرغ**، العالمان الصاعدان آنذاك، بآراء مختلفة، بأهمية تطبيق علم النفس عمليًا في مجال القانون وحاول كلاهما دمج علم النفس في النظام القانوني. في خطاب ألقاه عام 1906، أشار فرويد (1959/1906) بقوة إلى أن علم النفس كان ذو قيمة في عملية البحث عن الحقائق في الإجراءات القانونية عندما اقترح: "مهمة العلاج ... وهي نفسها مهمة القاضي المحقق. اذعلينا -على حد تعبيره -أن نكشف عن الدوافع النفسية الخفية وراء السلوك. ومن أجل

ذلك، "اخترعنا عددًا من الأجهزة الاستقصائية، بعضها يبدو أنكم سادتي القانون على وشك أن تقتبسوها منا" (Brigham, 1999, p. 108)

بالمثل، قام **مونستربرغ** (1908) بنشر كتاب "**على منصة الشاهد**" لتوضيح أهمية علم النفس في مجال ممارسة القانون وعمليات اتخاذ القرار للقضاة والهيئات القضائية والمحامين. وأكد مونستربرغ أن "المحامون قد يتعلمون بلا حدود من علماء النفس" وأن "التجربة النفسية يمكن أن تكون مفيدة لمساعدة المحكمة والقانون". ومع ذلك، كان لكل من فرويد ومونستربرغ ميل للدراما ولم يتم اتخاذهما على محمل الجد في محاولاتهما لنقل أهمية علم النفس للقانون. وفي النهاية، على الرغم من الانتقادات اللاذعة الموجهة لهما في ذلك الوقت، فلقد ساهمت جهودهما في تعزيز الحوار التقدمي حول تخصص علم النفس الجنائي الناشئ وتصور التطورات القادمة.

2-2-الفترة ما بين 1960-2000

استمر مجال علم النفس الجنائي في التميز سواء من الناحية الأكاديمية أو المهنية، حيث أصبح مترسخًا كمجال شرعي ومؤسس. وكان تأسيس الجمعية الأمريكية لعلم النفس والقانون في عام 1969، إشارة واضحة لهذه التغييرات، حيث تعتبر أول منظمة مهنية رسمية في المجال، بدأت في عقد مؤتمرات مهنية ونشر مجلات أكاديمية وإجراء أبحاث ووضع معايير لهذا التخصص .(Grisso, 1991)

وفي عام 1978، قدمت الهيئة الأمريكية لعلم النفس شهادة متخصصة في علم النفس الشرعي (Otto & Heilbrun, 2002) بالإضافة إلى ذلك، ظهر عدد من المجلات العلمية بما في ذلك مجلة العدالة الجنائية والسلوك (1974 – الحاضر)، ومجلة القانون والسلوك البشري (1977)، وعلم النفس القانوني والجنائي (1996).

3-أهمية علم النفس الجنائي

في عام 1981، وصف البروفيسور **ليونيل هاورد**، أحد آباء علم نفس الجريمة في المملكة المتحدة، الأدوار الأربعة التي قد يقوم بها علماء النفس عندما يشاركون مهنيًا في الإجراءات الجنائية، وتلك الأدوار هي:

1/**اكلينيكيا**: في هذه الحالة، يكون الطبيب النفسي عادة مشاركاً في تقييم الفرد لتقديم حكم سريري. و يمكن للطبيب النفسي الاستعانة بالمقابلات وأدوات التقييم أو الاختبارات النفسية (مثل الاستبيانات الخاصة) لمساعدته في تقييمه.

2/ **تجريبيا**: يمكن أن يشمل دور الأخصائي النفسي على إجراء أبحاث لتوجيه قضية معينة. يمكن أن يتضمن ذلك إجراء اختبارات تجريبية لتوضيح نقطة معينة أو تقديم معلومات إضافية للمحاكم، بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يشمل دور العلماء النفسانيين تقديم ملخص لاكتشافات الأبحاث الحالية التي قد تكون ذات صلة بالقضايا المطروحة.

3/ **تأمينيا**: في هذا السياق، يرتبط مصطلح "التأمين" باستخدام الإحصاءات لإثراء قضية ما. من الأمثلة على كيفية قيام النفساني بدور تأميني هو عندما يتعين عليه تقديم معلومات استباقية تتعلق باحتمال حدوث أمر ما في المحكمة. اذ قد تود المحكمة مثلا معرفة مدى احتمالية عودة المجرم لارتكاب جريمة قبل أن يتم اصدار حكم في حقه.

4/ **توجيهيا**: في هذا الدور، قد يقدم النفساني نصائح للشرطة حول كيفية المضي قدمًا في التحقيق. على سبيل المثال، يمكن أن يساهم ملف الجاني في توجيه التحقيق، أو يمكن تقديم النصيحة حول كيفية إجراء مقابلة مع مشتبه به معين(Bull,2006,pp.03-04).

ان علم النفس الجنائي بما يقوم به من دراسة للعوامل المؤِّدية إلى ارتكاب الجريمة بطريقة علمية يمثل أهمية كبيرة من نواح متعددة، فهو يساعد كل من المشرع والقاضي وسلطة انفاذ القانون على حد سواء، ونجد من بين اهمية دراسة علم النفس الجنائي ما يلي:

أ –من الناحية التشريعية:

تفيد أبحاث علم النفس الجنائي المشرع فيما يتعلق بالتدخل عن طريق تحيين القوانين للمساهمة في مكافحة الظاهرة الإجرامية، ويتم ذلك من خلال ما تقدمه أبحاث علم النفس الجنائي من دراسات حول تصنيف المجرمين إلى جماعات متباينة من خلال دراسة متكاملة لشخصية المجرم وتحديد العقوبة المناسبة والأسلوب العلاجي الملائم من ناحية المعاملة العقابية.

وفي ضوء هذه الأبحاث والدراسات يمكن للمشرع أن يتدّخل باختيار العقوبات أو التدابير الاجتماعية والاحترازية المناسبة لكل مجموعة من المجرمين، ولا شك أن دراسات علم النفس الجنائي هي التي دفعت المشرع إلى أن يفرد للمجرمين الأحداث نظامًا عقابيًا خاصًا يتناسب معهم ويختلف عن ذلك المقرر للمجرمين البالغين.

ب –من الناحية القضائية:

تفيد الدراسات التي تتم في نطاق علم النفس الجنائي القاضي الجنائي في اختيار العقوبة أو التدبير الملائم لكل متهم وذلك في ضوء استعماله لسلطته التقديرية التي منحها له المشرع، وحتى يتم ذلك بطريقة سليمة يتعين أن يقدم للقاضي ما يمكنه من التعرف على شخصية المتهم الإجرامية للوقوف على مدى خطورته الإجرامية على المجتمع، ولا شك أن ذلك يساعد في مكافحة الإجرام في المجتمع من خلال تطبيق الحد الأدنى أو الأقصى

للعقوبة، أو توقيع تدبير احترازي بدلا من العقوبة الجنائية أو اللجوء لنظام وقف التنفيذ إذا كانت ظروف المتهم تستوجب ذلك.

جـ -من ناحية التنفيذ العقابي:

تتيح الدراسات الحديثة في علم النفس الجنائي للسلطات القائمة على تنفيذ العقوبة اختيار أنسب وسائل المعاملة العقابية للمحكوم عليه، ويتم ذلك من خلال تصنيف المجرمين من حيث السن والجنس والخطورة الإجرامية ومن حيث اختيار نوع العمل داخل المؤسسة العقابية الذي يحقق تأهيل المحكوم عليه حتى يخرج مواطنًا قادرًا على التكيف مع المجتمع مرة أخرى.

واختيار أسلوب المعاملة العقابية يتم كذلك من خلال الفحص البدني والنفسي والعقلي والاجتماعي للمحكوم عليه، فهذا الفحص يساعد في معرفة العوامل التي أَدت إلى ارتكاب الجريمة وبالتالي يفيد ذلك في معالجتها والقضاء عليها.

-علم النفس الجنائي والعلوم المكملة:

-البيولوجيا :

البيولوجيا والطب الشرعي هما تطبيق علم الأحياء لمساعدة تطبيق القانون، و تضُّم عَّدة فروع من أنثروبولوجيا الأدلة الجنائية وعلم نبات الأدلة الجنائية وعلم حشرات الأدلة الجنائية وطب أسنان الأدلة الجنائية ومختلف تقنيات الحمض النووي، البروتينات والطب الشرعي وعلم الأحياء. وقد استخدمت هذه الفروع لحل الجرائم ومطابقة مسرح الجريمة مع المشتبه فيهم وتحديد بقايا الجثث (الرفات)، في الحالات القصوى حيث تكون التقنيات التقليدية غير قادرة على تحديد هوية الرفات. أحيانا تكون قادرة على استخلاص ادلة من بقايا العظام و ايجاد العرق والجنس والعمر وتقدير قامة المتوفى من خلال قياسات العظام. علاوة على

يمكن استخراج الحمض النووي من العظام والأسنان التي يعود تاريخها إلى آلاف السنين(نشأت إبراهيم ، 2009،ص24.)

وتحليل الحمض النووي بصفة عامَّة بعد الحصول على العينة يشمل تفاعل البوليميراز المتسلسل PCR من أي عينة يليها تقدير الكمية والفصل الكهربائي للبروتين Capillary electrophoresis من أجل الحصول على صورة الحمض النووي الذي يمكن مقارنته مع الحمض النووي للمشتبه به.

4-2 علم الاجتماع الجنائي

يعتبر علم الإجتماع الجنائي من بين العلوم الإنسانية التي ظهرت في القرن 19م وتربطه علاقة وثيقة بعلم الإجتماع وعلم النفس وبالإحصاء والقانون الجنائي، وكان سبب ظهوره متعلق أساًسا بزيادة معَّدلات الجريمة في المناطق الحضرية والمدن الكبرى خاصة بعد إنتشار الصناعة والتصنيع، وعلم إجتماع الجنائي لا يهدف إلى معرفة أسباب إرتكاب الجريمة فحسب كما يعتقد البعض، بل يهدف أيًضا إلى تحديد آثار الجريمة على الفرد والمجتمع.

4-3علم النفس القضائي:

يدرس علم النفس القضائي العوامل المؤثرة في عملية التحقيق والحكم –العوامل المؤثرة على المدعين وعلى المتهم، وعلى الشهود، وعلى القاضي، وعلى الرأي العام، ويري الدكتور رمسيس بهنام أَّن تعريف علم النفس القضائي بأَّنه" : العلم الذي يدرس النفسية التي يلعب صاحبها دوًرا ما في خصومة اجتماعية تضعه طرًفا في موقف الخصم من طرف آخر ويكون لهذا الدور شأن في حل الخصومة بقهر مادي مشروع ينتزع للمظلوم من ظالمه

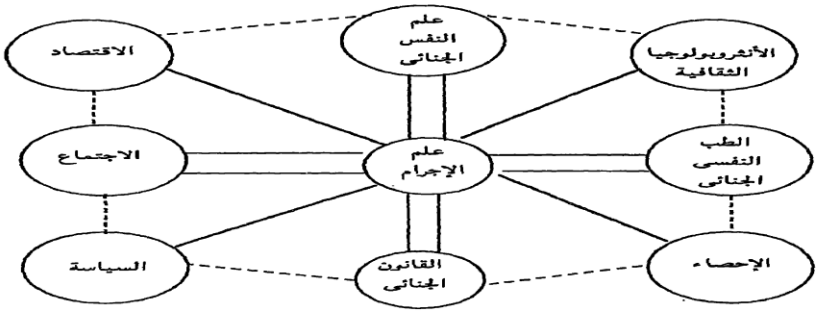
الحق السليب ضد إرادة الظالم"، ونري باختصار أنه العلم الذي يعني بدراسة نفسية من له دور في الخصومة التي يختص بها القضاء. (نشأت إبراهيم ،2009.ص27) .

4-علاقة علم النفس الجنائي بالعلوم الاجتماعية الأخرى

سعى علم الاجرام لتأسيس علم مستقل لا يخضع لبرادغم القانون الجنائي، فبعد أفول المدرسه الوضعيه الايطاليه جاءت المدرسه الفرنسية من خلال أعمال ديركايم ثم تطور علم الاجرام في أحضان مدرسه شيكاغو الامريكية.

يمكن حصر علم الاجرام في برادغمين أو نموذجين تفسيريين نموذج الفعل الذي يتموقع في مدرسه لوفان البلجيكيه من خلال الدراسات الاكلينيكية، بينما يتمركز نموذج رد الفعل في التقليد السوسيولوجي.

يعتبر علم الاجرام ذو طبيعة متعددة التخصصات يرتبط بمجموعة من الحقول المعرفية لفهم وتفسير الظاهرة الاجرامية، ويمكن تلخيص هذه العلاقة في المخطط التالي:



شكل رقم (١)

علاقة علم الإجرام ببعض العلوم الأخرى

ملحوظة : تشير الخطوط المزدوجة إلى علاقة وثيقة بين العلوم التى تصل بينها . وتشير الخطوط الفردية إلى علاقة أقل ارتباطا بينما تشير الخطوط المتقطعة إلى علاقة خاصة أو ثنائية بين علمين على الأكثر من هذه العلوم .

- ٤٧ -

(محمد شحاته وآخرون،1994:47)

⇦ علم النفس الشرعي: هو ممارسه مهنية من طرف باحثين سيكولوجيين عندما يعينون كخبراء للنظام الاخلاقي والقضائي.

علم النفس القضاء judiciare ⟷ légal

علم النفس الجنائي criminelle ⟷ forensique

⇦ التحليل النفسي: له اسهامات كبيرة في هذا المجال –البحث في الدوافع اللاشعورية– السلوك الجانح. ويتقاطع علم النفس الجنائي مع الطب العقلي عندما نتطرق للمظاهر السيكوباتية للسلوك الاجرامي.

هناك إرتباط واضح وعلاقة وثيقة بين فروع العلوم الجنائية المختلفة، فهي جميعًا تدور حول فكرة الجريمة وتهتم بدراستها إمَّا بمعرفة العوامل التي تؤدي إليها أو لوضع العقوبات المقررة لها أو الإجراءات التي تؤِّدي إلى تقرير سلطة الدولة في العقاب أو لتنفيذ ما يتم توقيعه على المجرم من عقوبات، وسوف نعرض فيما يلي لأوجه الصلة بين علم النفس الجنائي وبين أهم فروع العلوم الجنائية للوقوف على مدى التأثير المتبادل بين تلك العلوم من ناحية وبين علم النفس الجنائي من ناحية أخرى، وعلى ذلك فسوف نبين علاقة علم النفس الجنائي بكل من علم العقاب وقانون العقوبات وقانون الإجراءات الجنائية والسياسة الجنائية.

4-1 –*علم النفس الجنائي وعلم العقاب* :

ان علم الإجرام يهتم بدراسة الظاهرة الإجرامية لمعرفة العوامل المختلفة فردية كانت أو اجتماعية التي تؤِّدي إلى ارتكاب الجريمة، وذلك للوقوف على الوسائل الملائمة لمكافحتها والحد من تأثيرها، ويقصد بعلم العقاب أيضا بأَّنه :ذلك العلم الذي يتناول مرحلة رد الفعل الاجتماعي تجاه مرتكبي الجريمة، أي مرحلة التنفيذ التي تحقق هذه الأغراض ورغم استقلال كل من العلمين فيما يتعَّلق بالموضوع الذي تنصب عليه أبحاث كل منهما، الا أنهما يتفقان

في سعيهما لتحقيق غاية واحدة وهي مكافحة الجريمة، ووسيلة علم النفس الجنائي في ذلك هو دراسة الظاهرة الإجرامية للتوصل إلى القانون الذي يحكمها وبالتالي السيطرة عليها قبل وقوعها، أَّما علم العقاب فهو يهتم بالبحث في أفضل الوسائل لمعاملة المجرمين لتحقيق أغراض الجزاء الجنائي في الإصلاح والتأهيل.

وتتجَّسد العلاقة بين علمي النفس الجنائي والعقاب في أن كل منهما يكمل الآخر ويعتبر وسيلة من وسائله، فتحقيق فاعلية علم العقاب في اختيار الوسائل الملائمة لتنفيذ العقوبة لا تتم الا بعد معرفة الأسباب التي دفعت المجرم إلى ارتكاب الجريمة وبعد معرفة سمات شخصية المجرم وهذا هو مجال علم النفس الجنائي، ومن ناحية أخرى فإن علم العقاب يمُّد علم النفس الجنائي بالكثير من النماذج البشرية لإجراء الأبحاث التي تفيد في التأُّكد من صَّحة افتراضاته.

4-2-علم النفس الجنائي وقانون العقوبات:

يشمل قانون العقوبات مجموعة القواعد القانونية التي تحِّدد الجرائم وتلك التي تبين العقوبات والتدابير الأخرى التي توقع على مرتكبي الجرائم، ورغم الارتباط بين كل من علم النفس الجنائي وقانون العقوبات القائم على وحدة الغاية والهدف الذي يتمثل في مكافحة الجريمة، الا أَّن طبيعة كل منهما تختلف عن طبيعة الآخر، فعلم النفس الجنائي علم وصفي بمعنى أنه يصف السلوك الإجرامي ويحاول تفسيره، بينما يعتبر قانون العقوبات علم قاعدي أو معياري يدرس الجريمة كواقعة قانونية لتحديد نطاقها وأنواعها وتحديد المسئولية الجنائية لمرتكبيها.

ومع ذلك فإَّن التأثير متبادل بين كل من علم النفس الجنائي وقانون العقوبات، فقانون العقوبات يرسم الإطار الذي تتُّم فيه الدراسات الإجرامية وذلك فيما يتعَّلق بالجريمة والمجرم،

ومن جهة أخرىَ يلجأ قانون العقوبات إلى أبحاث علم النفس الجنائي وما توصلت إليه من نتائج للاستفادة منها في تقرير بعض الأنظمة والقواعد المتعلقة بتفريد العقوبة، ونظام وقف التنفيذ ونظرية الظروف المشِّددة والمخِّففة وتطبيق أنظمة التدابير الاحترازية.

4-3علم النفس الجنائي وقانون الإجراءات الجنائية

يشمل قانون الإجراءات الجنائية مجموعة القواعد الإجرائية التي تسلكها الدولة منذ لحظة وقوع الجريمة وحتى لحظة صدور حكم قضائي، بما يتضَّمنه ذلك من إجراءات تحِّرى وتحقيق ومحاكمة وطرق طعن وما يحيط بكل هذه المراحل والإجراءات من ضمانات تكفل حماية الحقوق الشخصية والحريات الفردية للأشخاص محل الملاحقة الجنائية .وان كان من الواضح أن مجال قانون الإجراءات الجنائية يختلف عن موضوع علم النفس الجنائي، الا أن الاتجاهات الحديثة في قانون الإجراءات الجنائية تهتم بمعرفة شخصية الجاني لتحديد ملامحها الإجرامية ومدي خطورتها من أجل مساعدة القاضي في اختيار العقوبة أو التدبير الملائم لشخصية الجاني، ولا شك أن السبيل إلى ذلك هو الاستعانة بالدراسات الإجرامية التي تبحث في الظروف الشخصية والاجتماعية للمجرم.

وعلى سبيل المثال فقد ساهمت الدراسات الإجرامية في تبني بعض الأنظمة القانونية للعديد من النظم الإجرائية الهامة والتي تهدف إلى حسن تطبيق مبدأ التفريد العقابي، ومن ذلك تخصيص قضاء للأحداث والأخذ بنظام قاضي تنفيذ العقوبات.

4-4 علم النفس الجنائي والسياسة الجنائية :

يقصد بالسياسة الجنائية مجموعة الوسائل التي يستخدمها المشرع أو التي يجب عليه أن يستخدمها والتي من شأنها أن تؤِّدي إلي مكافحة الظاهرة الإجرامية في المجتمع، أي أن السياسة الجنائية تهتم بتحديد الأفعال التي تقضي المصلحة الاجتماعية بالعقاب عليها وتلك

التي توصي بإخراجها من دائرة التجريم والعقاب، وكذلك بتحديد صور الجزاء الجنائي التي تحقق أغراضه بطريقة فعالة، ورغم اختلاف علم السياسة الجنائية عن علم النفس الجنائي في الموضوع الذي تهتم دراسات كل منهما بمعالجته، الا أن أبحاث علم النفس الجنائي تعين السياسة الجنائية علي رسم وضبط الإطار العام لسياسة التجريم والعقاب.(اسماعيلي وصابر،2018ص ص.26-28)

مثال عن التحقيقات الجنائية:

كان جون إيميل ليست (17 سبتمبر 1925 – 21 مارس 2008) أحد القتلة المتسلسلين في الولايات المتحدة الأمريكية وهارب من العدالة لفترة طويلة. في 9 نوفمبر 1971، قام بقتل زوجته ووالدته وثلاثة من أطفاله في منزلهم في ويستفيلد، نيوجيرسي، ثم اختفى. كان قد خطط للجريمة بدقة شديدة بحيث مر شهر تقريبًا قبل أن يشك أحد في وقوع شيء مريب.

لقد صنع ليست لنفسه هوية جديدة، وتزوج مرة أخرى، وتمكن من التهرب من العدالة لمدة تقارب 18 عامًا. تم القبض عليه أخيرًا في فرجينيا في 1 يونيو 1989، بعد بث قصة جرائمه في برنامج تلفزيزني معروف ب "أكثر المطلوبين في أمريكا". بعد ترحيله إلى نيوجيرسي، أدين بخمس تهم بالقتل من الدرجة الأولى وحُكم عليه بخمسة مدد السجن المؤبد، مما جعله غير مؤهل للحصول على إفراج مشروط لمدة تقارب 75 عامًا.

أكثر المطلوبين في أمريكا

بدأ عرض تلفزيون الواقع القانوني "أكثر المطلوبين في أمريكا" لأول مرة في عام 1988، بهدف عرض بعض أكبر الهاربين في أمريكا على شاشات التلفزيون في جميع أنحاء البلاد. كان البرنامج يعرض قضية كل هارب، ثم يطلب من الجمهور الاتصال إذا كان لديهم أي معلومات محتملة.

في عام 1989، عرض البرنامج قضية جون ليست لكن المشكلة التي واجهتهم هو كيف يتم وضع صورة للمجرم تعود الى 1971 وعليه قام فريق البرنامج بالاستعانة بكل من :

فرانك بيندر(Frank Bender) الذي كان **فنانًا جنائيًا (forensic artist)** أمريكيًا متخصصًا في إعادة بناء الوجوه من صور قديمة أو من أجل تقدم العمر بناءً على بيانات وذكريات

أقدم.قام بنحت تمثال نصفي لجون ليست ليظهر كيف قد يبدو بعد مرور السنين، وهو العمل الذي ساهم بشكل كبير في إعادة اكتشاف هويته والقبض عليه.

ريتشارد والتر(Richard Walter) كان **خبيرًا نفسيًا جنائيًا** (forensic psychologist) عمل على **التنميط النفسي**.(psychological profiling)

- بُني على تحليله النفسي وتوجيهه الفني أن يتم:
  - إضافة خصائص عمرية واقعية مثل *انحسار الشعر*
  - وتوقعات حول النظارة ودوافعه النفسية في المظهر
  - ساعد الفنان بيندر على تقديم صورة تبدو أكثر احتمالية واقعية لما قد يكون عليه ليست بعد نحو عقدين من الزمن.

تم عرض التمثال النصفي في البرنامج، وعلى الفور تقريبًا، بدأت النصائح تتدفق. جاءت إحدى هذه النصائح من سيدة اتصلت لتقول إن التمثال النصفي يشبه إلى حد كبير أحد جيرانها، روبرت ب. كلارك. وأوضحت أنه كان أيضًا يواظب على الذهاب إلى الكنيسة ويعمل محاسبًا. نظرًا لأن "ليست" كان يعيش حياة مشابهة جدًا لحياته في نيو جيرسي، فقد سهل ذلك تعقبه. اتبعت الشرطة هذه المعلومة، وتحدثت مع زوجته الجديدة ، وألقت القبض في النهاية على "ليست" في مكتب المحاسبة الخاص به.

المثير للدهشة في قضية الحال أنه عندما قبض على ليست كان يحمل نفس النظارات التي اختارها له الخبير عند نحته للتمثال مع العمل على تصور ملامح وجهه بالاستعانة بعلم النفس الشرعي وكيف ستكون بعض مضي تلك السنوات بفعل الإحساس بالذنب بما في ذلك الاطار الأسود للنظارات الذي يخفي لاشعوريا هذا الذنب حسب خبراء علم النفس الجنائي.

المحور الثاني

النظريات النفسية المفسرة للسلوك الاجرامي

تمهيد:

يتناول المحور الثاني من هذه المطبوعة مجموعةً من النظريات والمقاربات المفسِّرة للسلوك الإجرامي، مع التطرّق إلى التفسيرات الوراثية والعصبية والهرمونية باعتبارها من العوامل المؤثّرة في الانتقال إلى الفعل الإجرامي. كما يقدّم قراءةً تحليليةً نفسيةً لشخصية المجرم، تُبرز ملامحها والعوامل الدافعة لها، إلى جانب عرض نظرية الإحباط والعدوان وبيان الاستجابات الأربع الممكنة التي قد يعتمدها الفرد في مواجهة العامل المُحبِط.

إن دراسة أسباب الجريمة مجال معقد يشمل تخصصات متعددة. تاريخياً، تطور علم الإجرام من مقاربة فلسفية، حيث كان يُنظر إلى الجريمة على أنها نتاج إرادة حرة واتخاذ قرار عقلاني، إلى منظور وضعي. تفترض هذه الأخيرة أن السلوك الإجرامي يتأثر بعوامل جوهرية وخارجية للفرد. في هذا الإطار ظهرت وتطورت بسرعة النظريات النفسية للجريمة، مع التركيز على مبادئ الإدراك البشري والعواطف والعلاقات الاجتماعية لشرح الجريمة . اذ يتميز النهج النفسي بشكل أساسي عن النظريات الاجتماعية والبيولوجية. ففي حين أن النظريات الاجتماعية تؤكد على تأثير العوامل الاجتماعية مثل الفقر أو التركيبة الأسرية أو بيئة الحي على السلوك الإجرامي، يركز علم النفس على عقل الفرد وخبراته الحياتية، ويسعى إلى فهم "لماذا" و "كيف" يتم ارتكاب الفعل.

هذا الجهد لفهم دوافع وأنماط تفكير وسمات شخصية المجرم ضروري لتطوير أساليب فعالة لمنع وإدارة السلوكيات الإجرامية، من أجل تعزيز أمن ورفاهية المجتمع. يستكشف مايلي بشكل شامل النظريات النفسية والفيزيولوجية الرئيسية، وارتباطها بتخصصات أخرى، وتطبيقاتها الملموسة في مجالات التحقيق وإعادة التأهيل.

1-التفسير الفيزيولوجي أو الجبلي للمجرم:

وفقا للتقليد الوضعي، تعتبر العمليات الاجتماعية نتاجا للتفاعل القابل للقياس بين العلاقات والأحداث. وبالتالي، يعتبر سلوك الإنسان نتاجا لمجموعة متنوعة من القوى. بعضها اجتماعية، مثل تأثير الثروة والطبقة؛ بينما البعض الآخر سياسي وتاريخي، مثل الحرب والجوع. وهناك قوى أخرى أكثر شخصية ونفسية، مثل هيكل دماغ الفرد وتكوينه البيولوجي أو قدرته العقلية. كل هذه العوامل تؤثر وتشكل سلوك الإنسان. الناس لا يولدون "طيبين"

أو "سيئين"، ولا "قديسين" أو "خطأة". إنهم نتاج صفاتهم الاجتماعية والنفسية، تحت تأثير تربيتهم وبيئتهم (Siegel,2010,p.07) .

ان الافتراضات الخاصة بعمل **داروين**، الذي تم قبولها بسرعة واسعة من قبل المجتمع والعلماء في جميع أنحاء العالم، أدى بشكل خاطئ إلى الميل للإيمان بأن بعض الجماعات العرقية أو الاثنية تعتبر فئة دنيا أو عليا على الفئات الأخرى. على الرغم من ردود الفعل العنيفة من قبل العديد من السلطات الدينية، التي ربما هُددت بشعبية نظرية تعزز الانتخاب الطبيعي بدلاً من وجود كائن أعلى أو خالق، فإن داروين قد وضع كرة ثلج علمية انتشرت مثل النار في جميع التخصصات العلمية تقريباً، وخاصة في علم الإجرام.

لم يكن داروين عالم جنائي، لذا لا يُعتبر أبًا أو منظرا في هذا المجال. ومع ذلك، فقد وضع اللبنة الأوى لما جاء فيما بعد في الفكر الجنائي. على وجه التحديد، وضعت نظرية داروين الأسس لما سيصبح أول نظرية علمية رئيسية للجريمة، أي نظرية لومبروزو عن المجرم بالميلاد، التي ربطت أيضاً بين الافتراضات والمقترحات لقياس الجماجم Phrenology وعلم الوجوه النفسيCraniometry وعلم الصورةPhysiognomy. (Tibbets,2019,p.159)

-الوضعية البيولوجية

مع انتشار وتطور أفكار عصر التنوير في جميع أنحاء العالم الغربي، اهتم الكثير من الناس بفكرة أنه قد تكون هناك مجموعة من القوى الكامنة التي تدفع الأفراد والجماعات للتصرف بطرق معينة. تمامًا كما يمكن فهم حركات الكواكب أو تساقط التفاح من الأشجار من خلال القوى الكامنة (مثل الجاذبية)، ربما كانت هناك أيضًا قوى كامنة تسبب الجريمة. كانت مهمتهم، كما رأوا، هي الكشف عن هذه القوى ووصفها. ويُطلق على المفكرين

والباحثين المختلفين في هذه الفئات اسم "الوضعيون" (وهم في الواقع من أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم).

كانوا مهتمين بدراسة الجريمة كشيء في حد ذاته، واعتقدوا أن المبادئ التي تم استخدامها بنجاح لمراقبة العالم الطبيعي وشرحه بشكل منهجي يمكن استخدامها لفهم العالم الاجتماعي البشري.

السمة المميزة المهمة لمختلف مدارس الوضعية هي أنها أقل تركيزًا بكثير من المدرسة الكلاسيكية على الإرادة الحرة للأفراد، حيث كانت مهتمة بالقوى الكامنة التي قد تدفع الناس إلى الإجرام. قدم راوسون (1839: 316) حجة للتحليل الإحصائي للجريمة في أوائل القرن التاسع عشر بالقول إن العلم يمكن استخدامه لدراسة "الظواهر الأخلاقية":

لقد تعرضت بعض المحاولات التي بذلت لإثبات أن الظواهر الأخلاقية تخضع لقوانين راسخة وعامة للسخرية غير المستحقة ... لقد علمتنا العلوم، وتثبت التجربة اليومية، أن الكون ينظمه نظام موحد وثابت؛ وأن الأجزاء المختلفة تتعايش وتبقى متماسكة بفضل قوانين ثابتة. ... والبشرية ليست مستثناة من هذه القوانين. ... ولا يمكن إنكار أن العقل يخضع لهذه القوانين.

ومع ذلك، كانت هناك نسختان متميزتان من الوضعية لها آراء مختلفة جدًا حول موقع تلك القوى الدافعة. أولاً، كانت هناك المدارس الأكثر اجتماعية التي نظَرت إلى القوى الاجتماعية التي تدفع الناس نحو الإجرام. ثانياً، كانت هناك مدارس فكرية اتخذت منظوراً أكثر فردية أو "نفسية" في افتراضها أن بذور الإجرام يمكن العثور عليها في تكوين الأفراد. فقد اقترحوا أن بعض الناس يولدون ببساطة بخصائص جسدية ونفسية تجعلهم أكثر عرضة للجريمة.(Jones,2008:6-7)

كانت أقدم الدراسات "العلمية" التي تطبق نموذج الوضعية على علم الإجرام تلك التي قام بها علماء الوجه، مثل جيه كيه لافاتير (1741–1801)، الذي درس ملامح وجوه الجناة لتحديد ما إذا كان شكل الأذنين والأنف والعيون والمسافة بينها مرتبطة بالسلوك المعادي للمجتمع. درس فرانز جوزيف غال (1758–1828) ويوهان كيه سبورزهايم (1776–1832) شكل الجمجمة والتدرمات على الرأس لتحديد ما إذا كانت هذه الصفات الجسدية مرتبطة بالسلوك الاجرامي. وكان هؤلاء العلماء يعتقدون أن السمات الجمجمية الخارجية تحدد أي مجالات من المخ التي تتحكم في النشاط البدني. واقترحوا أن للمخ 30 منطقة أو قدرة تتحكم في السلوك. يمكن تحديد حجم المخ من خلال فحص تقاويم الجمجمة – فكلما كان العضو أكبر، كان أكثر نشاطًا. ويمكن زيادة أو تقليل الحجم النسبي لأعضاء المخ من خلال ممارسة الرياضة وتنظيم النفس. (Siegel,2010,p.07)

كان سيزار لومبروزو (1836–1909) طبيب نفسي في جامعة تورينو وطبيب موظف في النظام الجنائي الإيطالي. في عام 1875، نشر أشهر أعماله "الإنسان المجرم" والموضوع الرئيسي – والأكثر أهمية – في هذا العمل المبكر هو أن المجرمين يمثلون نوعًا جسديًا مميزًا عن غير المجرمين. ويُقال إن المجرمين يمثلون نوعًا من التدهور الواضح في السمات الجسدية الموحي بشكل قديم من التطور، فهم منغلقون على أنفسهم، ويعودون إلى أشكال سابقة من الحياة التطورية للانسان. وتعتبر الآذان غير العادية الحجم، والجباه المائلة، والأذرع الطويلة بشكل مفرط، والذقون الانحدارية، والأنوف الملتوية، علامات دالة على الاجرام. على الرغم من أن العمل كان ينتمي في جوهره إلى الوضعية البيولوجية، الا أنه في الطبعات اللاحقة من أعماله، بدأ لومبروزو في الانتباه بشكل متزايد إلى العوامل البيئية مثل المناخ والفقر والهجرة والتحضر (Burke ,2009,p65) .

من الضروري التأكيد مرة أخرى أن تطوير **لومبروزو** للوضعية البيولوجية كان، كما نرى مع معظم النظريات، امتداد منطقيًا للفكر التطوري في عصره. اذ لم يتبع نموذج داروين فحسب، بل بنى أيضًا على الأعمال السابقة للعلماء الآخرين الذين تناولوا الجريمة في إطار بيولوجي. فرانز جوزيف غال (1758–1828)، على سبيل المثال، سبق لومبروزو في تعميم علم الجماجم، الذي ربط الجريمة بالشذوذ في الدماغ، والذين اعتقدوا أنه يمكن تحديده خارجيًا، مما جعلهم يحصلون على لقب "مداعبي الجماجم ." (Brown, Esbensen, Geis 2013,p.196)

لم تعد نسخة لومبروزو عن الحتمية البيولوجية الصارمة تُؤخذ على محمل الجد –في وقت لاحق من حياته– حتى بدأ يعترف بأن ليس جميع المجرمين كانوا يخضعون لحتمية بيولوجية. يعتقد الباحثون في علم الاجرام اليوم الذين يرون بأن الجريمة تعود لاسباب بيولوجية أن الظروف البيئية أيضا تؤثر على سلوك الإنسان. وبالتالي، تم ابتكار مصطلح النظرية البيواجتماعية لتعكس الرابط المفترض بين الصفات الجسدية والعقلية والبيئة الاجتماعية والسلوك(Siegel,2010,p.07) .

المدرسة التكوينية الحديثة:

يرى رواد المدرسة التكوينية الحديثة أن مصدر السلوك الإنساني يتمثل في الشخصية الانسانية وذلك بتفاعلها مع العوامل الخارجية. (1) ولما كانت الجريمة سلوك انساني فانها تصدر عن شخصية إنسانية إجرامية وإنها ثمرة تفاعل هذه الشخصية مع ظروف العامل الخارجي، وعليه فان عوامل السلوك تتمثل في تلك الشخصية عند اصطدامها بالوسط الاجتماعي المحيط بها، كما أن القرار الإجرامي يكون صادرا عن نفسية منحرفة مصدرها خلل عضوي (الأعضاء الداخلية) وبتفاعل هذا الخلل مع الوسط الاجتماعي تتولد الجريمة. (2) أي (الجريمة = عامل عضوي + عامل نفسي+عامل اجتماعي). ومن هنا يتضح بأن

انصار المدرسة لا يأخذون بفكرة المجرم المطبوع (بالميلاد) وانما يرون بأن المجرم تتوافر لديه خصائص عضوية ونفسية معينة تجعله اكثر إستعدادا من غيره لارتكاب الجرائم، ولهذا فان الاستعداد الإجرامي يمثل الفكرة الأساسية التي تقوم عليها المدرسة، وقد عبروا علماء المدرسة عن هذه الفكرة بعدة تعابير لا تخرجها عن مضمونها، فالعالم الايطالي دي توليو) اخذ بفكرة التكوين الإجرامي) اما عالم الغدد الايطالي (بندي) يرى في الاستعداد الإجرامي بكونه مجموعة العوامل الفطرية المتصلة على نحو وثيق بمزاج الجاني وجهازه العصبي ومن هذه العوامل الخلل العضوي كالتهابات أغشية المخ واضطرابات الغدد (الغدد الصماء) أما العالم السويدي (كينبرج) اخذ بفكرة (عدم التكيف) (عدم التأقلم بسبب وجود خلل عضوي ونفسي).

نظرية دي توليو:

كان **دي توليو** يعمل كاستاذ لعلم طبائع المجرم بجامعة روما ويعد من ابرز الجنائيين الايطاليين وتعد دراساته من أهم دراسات المدرسة البيولوجية الحديثة، وقد اجرى ملاحظات طويلة ومستمرة على عدة الاف من المجرمين بمعهد الوقاية والعقوبة بروما، وقد ساعده بدراساته وأبحاثه علم الطب التكويني وعلم النماذج الإنسانية إضافة إلى النظريات التكوينية السابقة وخاصة تلك التي تميز المجرمين عن غير المجرمين على اساس التمايز في التكوين العضوي. وتوصل بملاحظاته إلى فكرة مؤداها أن سبب الإجرام يكمن في تكوين شخصية المجرم وقد ثبت فكرة (الخصائص التكوينية الخاصة باعتبارها عامل خاص واساس للأجرام في كتابة العامل الأساسي الخاص للاجرام) و ضمن نتائج أبحاثه في كتابه (التكوين الإجرامي) حيث ركز فيه على فكرة وجود استعداد سابق في التكوين الخاص لبعض الجناة يمكن اعتباره عاملا جوهريا لسلوكهم الإجرامي، فالتكوين الإجرامي هو نفسه الشخصية الاجرامية فهو مقابل ومرادف لها، وعليه يجب دراسة هذه الشخصية من جوانبها العضوية

والنفسية اضافة إلى دراسة تاريخ حياة الشخص المجرم وذكرياته اضافة إلى العوامل الاجتماعية. ويرى (دي توليو) أن الجريمة عبارة عن صراع بين مقومات الحياة الاجتماعية وبين الدوافع الغريزية الفردية، تغلبت فيها النزعات الانانية الشريرة على قوة الردع المستمدة من البيئة والقيم الاجتماعية، ويشبه دي توليو السلوك الإجرامي بالمرض فكما ان اصابة الجسم بالمرض ترجع إلى ضعف مقاومته للجراثيم، فكذلك الجريمة يتوقف ارتكابها على ضعف قوة الفرد على التكيف مع مقتضيات الحياة الاجتماعية نتيجة خلل عضوي ونفسي يتمثل فيه الاستعداد الإجرامي، أي أن الجريمة تكشف عن عدم قابلية مرتكبها على التكيف مع البيئة الاجتماعية. ويذهب(دي توليو) إلى أن اسباب عدم القابلية للتكيف مع البيئة الاجتماعية ترجع إلى نوعين من العوامل هما:

النوع الأول: عوامل مصدرها النمو العاطفي المعيب للشخص بسبب ظروف داخلية تتصل بطاقته الغريزية وما يصحب ذلك من عدم تقبل مثل هذا الشخص للقيم الاجتماعية المكتسبة والتوافق مع الانماط الاجتماعية السائدة.

النوع الثاني: عوامل ترجع إلى عيوب جسمانية ناجمة عن الوراثة او عن خلل وظيفي له صلة بأفرازات الغدد وبصفة خاصة الغدد الصماء او الهرمونات او التهاب المخ. ومن شأن هذه العوامل ان تخلق شخصية سيكوباتية لا يوجد لديها قابلية للتوافق مع المجتمع بأي حال. وبهذا يعني توافر النوع الأول أو النوع الثاني من العوامل السابقة لدى شخص معين بأن هذا الشخص لديه استعداد اجرامي (تكوين اجرامي) وهذا الاستعداد ملازم لارتكاب السلوك الإجرامي، ولكن لايكفي بمفرده لتحقق هذا السلوك بل لابد من تفاعله مع بقية العوامل الأخرى وخاصة العوامل البيئية (فالتكوين الإجرامي هو النواة التي تتفاعل معها باقي العوامل للاتجاه نحو تنفيذ الجريمة.

1- عوامل الظاهرة الإجرامية عند دي توليو

لا يمكن فهم الظاهرة الإجرامية عند دي توليو إلا ابتدءا من فكرة التكوين الإجرامي للفرد، ويكون هذا التكوين سببا للظاهرة الإجرامية عندما يكون الاستعداد الاجرامي للفرد أصيلا مع بقاء هذا التكوين مهيئا فقط للجريمة حيث يكون الاستعداد الإجرامي عرضيا وأنه وفي كلتا الحالتين لابد لتوليد السلوك الإجرامي من توافر العوامل الاجتماعية الأخرى وهي ظروف متعددة كظروف الفرد الأسرية والاقتصادية والثقافية وغيرها إذ تكون هذه العوامل كاشفة إذا كان الاستعداد الإجرامي أصيل ومهيأة للإجرام إذا كان الاستعداد الإجرامي مكتسب وهكذا فإن نظرية دي توليو تلخص في المعادلة البسيطة التالية:

الاستعداد الإجرامي السابق + العوامل الاجتماعية = الجريمة مع ترجيح الاستعداد الإجرامي على العوامل الاجتماعية.

2- أنماط الشخصية الإجرامية لدى دي توليو

خلص العالم الإيطالي إلى التعرف على نمطين رئيسيين هما:

* المجرمون بالتكوين : ويقسم دي توليو هذا النمط إلى أربعة أنواع هي:

أ- المجرمون بالتكوين الشائعون: ولهم خصائص خاصة مورفولوجية ووظيفية ونفسية كالضعف العقلي والمغالاة في الإحساس النفسي وسرعة التقلب وضعف الإرادة والإحساس الخلقي.

ب- المجرمون بالتكوين ذوي الاتجاه التطوري الناقص: يتميزون بضعف صفاتهم الجسمانية بوجه عام والنفسية بوجه خاص فملامحهم الخارجية تشبه ملامح المجرم المطبوع أو بالفطرة كما حدده لمبروزو مع ضعف نمو فكرة المثل الأعلى لديهم وضعف المنطق والنقد والبرود العاطفي والخلقي تعود كلها إلى أسباب موروثة أو مكتسبة.

ج- المجرمون المتخلّفون نفسيًا أو السيكوباتيون يشكّلون فئة تتسم بضعف في القدرات العقلية أو بخضوعهم لتأثيرات سلوكية معيّنة لا تصل إلى حدّ الاضطرابات المرضية

التقليدية. وتشمل الجرائم المرتبطة بهذه الفئة غالبًا الاعتداءات على الأشخاص وجرائم الآداب. وتجدر الإشارة إلى أنّه، وفقًا للدراسات المتخصّصة، فإنّ أكثر من 80% من المجرمين المعتادين والمنتكسين يُعدّون من المتخلّفين نفسيًا.

د- المجرمون المجانين: فهم المجرمون الذين يرتكبون جرائمهم بصورة عرضية استجابة لظواهر مرضية مثل الهلوسة والتصور الفاسد كما يمكن لهاته الفئة من ارتكاب جرائمها بدافع ظواهر جنونية تكون قد أصابتهم.

هـ- المجرمون العَرَضِيّون . ويُطلق عليهم أيضًا المجرمون بالصدفة . هم فئة تتميّز بانتمائها في الغالب إلى الطبقة الوسطى، وتمتلك عادة قدرة على تحقيق التوازن بين غرائزها الطبيعية ومقتضيات الحياة الاجتماعية. غير أنّ هؤلاء الأفراد، وعلى الرغم من اندماجهم الطبيعي في المجتمع، قد يتعرضون في لحظة معينة لعوامل خارجية استثنائية تؤثر في قدرتهم على التكيّف الاجتماعي والالتزام بالقواعد الأخلاقية والقانونية، مما يدفعهم إلى ارتكاب الجريمة بصورة عَرَضِيّة لا تعبّر عن نمط سلوكي دائم.

ويقسم دي توليو المجرمين العرضيين إلى ثلاثة أنواع:

أ- المجرم العرضي المحض: وهو الشخص الذي يقدم على ارتكاب الجرائم التافهة إستجابة لدوافع إستثنائية محضة.

ب- المجرم العرضي العاطفي: وهو الشخص الذي يقترف الجريمة مدفوعا بعوامل عاطفية أو انفعالية ومن شأن طروء هذه العوامل أن تعطل قدرة التكيف الاجتماعي لدى الشخص بصورة مؤقتة.

ج- المجرم العرضي الشائع: وهو الذي يتسم بنقص خلقي ويميل بوجه عام إلى ارتكاب السلوك المضاد للمجتمع ولاسيما جرائم المال بصفة أخص مع إمكانية تحوله إلى مجرم معتاد.

نظرية هوتون :

كان **هوتون** استاذ الانثروبولوجيا بجامعة هارفارد الامريكية حيث قام باجراء دراسة احصائية هدفها تقييم نتائج جورنج، حاول عن طريق بحوثه الميدانية التي استمرت زهاء "12" عاماً أن يثبت صحة نظرية" لومبروزو " "وقام بدراسة ما يقرب من أربعة عشر ألفاً من المجرمين المدانين في السجون، مقابل عينة من غير المجرمين تقارب ربع عدد هؤلاء. ثم قام أيضاً خلال سنوات لاحقة بدراسة ميدانية أنثروبولوجية على"5680" نزيلاً من نزلاء السجون، توصل خلالها إلى توزيعهم على"9" أجناس بشرية، والتي ذكر فيها بأن هذه الفئة من المجرمين ممن يتوفر لديهم شذوذ عضوي إنما يمثلون انحرافاً عن المعدل في سماتهم العضوية عمّا تتسم به الأجناس البشرية التي ينتمون إليها.

نشر كتاب "الجريمة الأمريكية: دراسة أنثروبولوجية" (1939أ) و"الجريمة والرجل" (1939ب). كان هوتون شخصية مشهورة، لكنها مثيرة للجدل للغاية حتى في زمنه. كان مقتنعًا بأن الجريمة لا يمكن فهمها إلا من خلال البيولوجيا، ولذلك كان معارضًا بشدة للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ولظهور علم الاجتماع كإطار عمل رئيسي في علم الجريمة. وقد لخص وجهة نظره حول الجاني بالطريقة التالية" :

يرى بعض المنظّرين أنّ المجرمين ذوي المستوى العضوي المتدنّي هم نتاج تأثيرات البيئة في أفراد يعانون قصورًا بيولوجيًا أو نفسيًا. وبناءً على هذا الطرح، فإن القضاء على الجريمة لا يتحقق — في نظرهم — إلا عبر استئصال الأفراد غير القادرين جسديًا أو عقليًا أو أخلاقيًا، أو من خلال عزلهم التام داخل بيئة اجتماعية مُحكمة ومعقمة (هوتون، 1939أ/1969: 309). إن مثل هذه الآراء، التي تدعو إلى إقصاء من يُفترض أنهم "غير لائقين" استنادًا إلى فرضية مثيرة للجدل بأنهم سيقترفون سلوكًا إجراميًا حتميًا، قد وجدت

صدى واسعًا لاحقًا حين استُخدم المنطق ذاته لتبرير سياسات الإبادة الجماعية التي انتهجها النظام النازي في ألمانيا (كول، 1994).

وصل هوتون إلى استنتاجاته من دراسة ضخمة شملت أكثر من 17,000 شخص، بما في ذلك 14,000 سجين. قدم تصنيفات لا حصر لها بين أولئك الذين تم القبض عليهم لارتكاب الجرائم ومجموعة التحكم الخاصة به، وهي قائمة تذكرنا كثيرًا بأعمال لومبروزو حول الأفراد المتخلفين. ومع ذلك، كانت هناك عيوب منهجية كبيرة جدًا في عمل هوتون. كما فعل لومبروزو، تمثلت في الخلط بين الصفات الموروثة والظروف الناتجة عن التأثيرات البيئية، مثل الوشم. بالإضافة إلى ذلك، كانت المجموعة التي قارن بها السجناء مجموعة عشوائية من رجال الإطفاء، والمستجمين، والمرضى الخارجيين في المستشفيات. علاوة على ذلك، من غير المنطقي أن نعتبر أن الصفات التي لوحظت في مجموعة معينة هي سبب سلوكهم.

وبناءً على هذه النتائج توصل"هوتون " E. Hooton إلى ما يأتي:

* توجد صفات خاصة موروثة يتميز بها المجرمون، وأن هذه الصفات لها علاقة بشكل العينين والأنف والفم والأذنين والجبهة كما تتعلق بمقاييس هذه الأعضاء.

* توجد جرائم معينة ارتكبها مجرمون لديهم صفات مشتركة تميزهم عن غيرهم ممن ارتكبوا جرائم أخرى، فمثلاً وجد أن جرائم القتل والعنف والتزوير والنصب تزيد مع زيادة الطول.

* يتمتع المجرمون بصفات انحطاطية موروثة.

وبالرغم من أن" هوتون " تجنب النقد الذي وجه إلى" لومبروزو" الذي يتعلق بأسلوب البحث قام بدراساته باستخدام المجموعة الضابطة من غير المجرمين إلا أن نظريته هي الأخرى لم تسلم من النقد الذي تجسد في مايلي:

* لا يمثل نزلاء السجون عينّة المجرمين تمثيلاً صحيحاً، فهؤلاء هم فقط الذين ثبت لدى القضاء إجرامهم، وهناك خارج السجون ممن ارتكب الجريمة ولم يكشف أمره، أو قضي ببراءته لعدم كفاية الأدلة أو الذين حكم عليهم مع إيقاف التنفيذ.

* الاعتقاد بوجود سمات مشتركة قد تتشابه إنما تمثل اعتقاداً زائفاً يعتمد على مشاعر وهمية تعتقد الأغلبية في صحتها وتسلم بها وكأنها حقيقة واقعة، في حين أنه لا أساس لها من الصحة.

* اختلاف الصفات المميزة لبعض المجرمين عن البعض الآخر وفقاً لاختلاف نوع الجريمة المرتكبة، هذه النتيجة مشكوك في صحتها لأن"هوتون" استخلصها من دراسة الجريمة التي دخل من أجلها المجرم السجن بينما قد يكون ارتكب قبل ذلك جرائم من نوع آخر.

* اقتصرت نظرية"هوتون" على العوامل الفردية، وأغفلت تأثير العوامل الاجتماعية.

2- تفسير مدرسة التحليل النفسي للجريمة والمجرم

ربما يعتبر سيغموند فرويد **(Freud)** (1856-1939) أشهر طبيب نفساني على الإطلاق اذ ابتكر مصطلح التحليل النفسي في عام 1896 وقام ببناء نظرية كاملة لسلوك الإنسان. من وجهة نظر التحليل النفسي، يعتبر السلوك الإجرامي مرضي، ناتج عن نقص في شخصية الجاني قد يؤدي به إلى مرض عقلي كامل، والذي يمكن أن يكون سببًا مباشرًا للجريمة.

يشمل منظور التحليل النفسي مفاهيم متنوعة مثل الشخصية والعصابية والجنون، ومفاهيم أكثر تحديدًا مثل النقل، والتحول، والقمع. العلاج النفسي، المشار إليه في أيامه الأولى بـ "العلاج بالحديث" لأنه اعتمد على التواصل بين المريض والمعالج، وهو محاولة للتخفيف من الاضطرابات النفسية للمرضى من خلال تطبيق مبادئ وتقنيات التحليل النفسي. وفقًا لفرويد، تتكون الشخصية من ثلاث مكونات – الهوة، والأنا، الأنا الأعلى. **الهوة** هو الجانب الأساسي للشخصية منه تنبع الدوافع والرغبات والأماني. ركز فرويد بشكل أساسي على الحب والعدوان والجنس كدوافع أساسية في أي شخصية. تعمل الهوة وفقًا لمبدأ المتعة، بحثًا عن إشباع احتياجاتها الفورية بالكامل. ومع ذلك، وفقًا لفرويد، نادرًا ما يكون الأفراد على دراية كاملة بالرغبات التي تظهر (أحيانًا إلى الوعي) من الهوة لأنها تعتبر منطقة لا إدراكية بشكل كبير في العقل. تفسر الشخصية وفق مدرسة التحليل النفسي كحقيقة صراعية بين العمليات الديناميكية التي تدفع الطاقة النفسية في اتجاهات مختلفة، فبالنسبة **لفرويد** تعتبر غريزة الموت الدافع الأساسي إلى العدوان الذاتي أو الخارجي ضد الآخرين(Fischer,2003 :18)، كل واحد منا يحمل داخل هويته الدافع الأساسي المسبق للسلوك الإجرامي. وكل واحد منا، قد يكون من القتلة المحتملين، والمعتدين الجنسيين، واللصوص فدوافعنا ورغباتنا محتفظ بها فقط بواسطة جوانب أخرى تحكم شخصياتنا.

في بعض الحالات المرضية كعصاب الفشل مثلا **(La nevrose d'echec)** لا يتحمل الأشخاص نزعة العدوان القوية التي بداخلهم ويتعاملون معها وكأنها عدو لهم وبالتالي يظهر ما يسمى الإحساس بالذنب ويمكن أن يكون مبعثا للقتل عند كثير من المجرمين ويكون هذا الإحساس سبّاقا للجريمة وكأن الشخص يجد ارتياحًا بعد ربط إحساسه اللاشعوري بشيء واقعي حقيقي، أو ما يحصل أحيانا في حالات الجنوح الكاذب كما يسميه **ميكييلي (R.Mucchielli)** إذ يقول " ترتكب الجنحة بكل الطرق ليتم القبض على صاحبها واتهامه

من أجل العقوبة والتخلص من الإحساس المرضي بالذنب " (Mucchielli,1965 :101) أما في حالات الغياب الكلي للإحساس بالذنب وبالتالي غياب إمكانية الدفاع ضد العدوان الداخلي ينحى المجرم محاولا جاهدا وراء هذا الإحساس من خلال ارتكابه للعديد من الجرائم ويعود حسب **وينيكوت (Winnicott)** إلى فقدان الشخص في مرحلة مبكرة من تكوينه للإطار العاطفي والبدني الذي يسمح له بالإحساس بالذنب.(Ionescu,2001 :273)

كان **أوغست آيخهورن** من الأوائل الذين طبقوا التحليل النفسي على الجنوح. عمل مع الشباب الجانحين الذين اعتبروا "ميؤوسًا منهم" بعد الحرب العالمية الأولى، وأحدث قطيعة جذرية مع الأساليب القمعية في ذلك الوقت. رأى آيخهورن الفعل المعادي للمجتمع ليس كعيب أخلاقي يستحق العقاب، بل كعرض لاضطرابات عاطفية ونواقص تعليمية مرتبطة بالتاريخ الشخصي للفرد. غيّر عمله النظرة إلى الجانح، فتحول من "مذنب أخلاقيًا" إلى "ذات نفسية لها تاريخ" تحتاج إلى فهم ومساعدة بدلًا من مجرد القمع. يُعرف آيخهورن بأنه أبو "العلاج بالبيئة" التحليلية النفسية للمراهقين. على الرغم من أن النهج الديناميكي النفسي قد تأثر إلى حد كبير بعلوم السلوك على مدار القرن العشرين، إلا أنه وضع الأس الرئيسية للتدخل مع الجانحين الذي يركز على الاحتياجات النفسية بدلًا من الانضباط وحده .

.2.1نظريات الشخصية: نموذج PEN لأيزنك

اقترح **هانز أيزنك** تفسيراً نفسياً للجريمة يدمج مكونات بيولوجية ونفسية على حد سواء. تستند نظريته إلى مفهوم أن الشخصية، التي تحددها إلى حد كبير الاستعدادات الوراثية، تؤثر على ميل الفرد إلى تبني سلوك إجرامي.

حدد ايزنك ثلاث أبعاد أساسية، أو "سمات فائقة"، للشخصية، والمعروفة بالاختصار PEN: الذهانية(P) ، والانبساط(E) ، والعصابية(N).

الذهانية :(P) ترتبط هذه السمة بالعدوانية، والاندفاع، والأنانية، ونقص التعاطف. ربط أيزنك هذه السمة بمستويات عالية من هرمون التستوستيرون. يتم وصف الأفراد ذوي الدرجات العالية في الذهانية بأنهم باردون وقاسيون، مما يجعلهم أكثر عرضة لارتكاب أعمال عنف ومعاداة للمجتمع.

الانبساط :(E) يتميز بالحاجة إلى التحفيز المستمر والميل إلى المخاطرة. اقترح أيزنك أن المنبسطين يمتلكون جهازًا عصبيًا غير نشط، مما يدفعهم إلى البحث عن الإثارة لتحفيز أدمغتهم. هذا النقص في تكييف ضمائرهم واندفاعهم يمكن أن يؤدي بهم إلى سلوكيات إجرامية، وخاصة الجرائم الاندفاعية .

العصابية :(N) ترتبط بعدم الاستقرار العاطفي والقلق والتقلبات المزاجية. الأشخاص الذين يعانون من العصابية العالية هم أكثر عرضة للتفاعل عاطفياً مع الإجهاد. قد يتصرفون بعدوانية تحت الضغط، مما يجعلهم أكثر عرضة لارتكاب الجرائم بشكل اندفاعي.

"لا تقتصر نظرية آيزنك على علم الوراثة فحسب، بل تسلط الضوء على أهمية عملية التنشئة الاجتماعية. وتشير إلى أن الأفراد ذوي الدرجات العالية في سمات الشخصية (PEN)يجدون صعوبة في التكيّف الاجتماعي، وبالتالي يواجهون صعوبة أكبر في استيعاب المعايير المجتمعية. إن اجتماع هذه السمات، وخاصة الدرجات العالية في الذهانية والانبساطية والعصابية، يشكل "الشخصية الإجرامية" وفقًا لآيزنك.

تُعد قضية القاتل المتسلسل تيد باندي Bundy بمثابة مثال ملموس على هذه النظرية. يُظهر تحليل ملفه النفسي أنه حصل على درجات عالية في الذهانية، والتي تجلت في غياب تام للتعاطف والندم على جرائمه الوحشية، وفي الانبساطية، والتي تميزت بسحره واجتماعيته وحاجته إلى التحفيز من خلال الاهتمام الإعلامي. ومع ذلك، أظهر Bundy درجة

منخفضة في العصابية، مما يفسر سلوكه البارد والحسابي، على عكس الجانح المندفع وغير المستقر عاطفياً. يوضح هذا التحليل المعقد لقضية Bundy أن الإجرام لا يقتصر على نوع بسيط من الجانحين.

نظرية آيزنك، على الرغم من انتقادها لتركيزها على العوامل البيولوجية وحقيقة أن ليس كل الأفراد ذوي الدرجات العالية يصبحون مجرمين، إلا أنها كانت أساسية في تطوير تقييمات الشخصية في علم النفس القانوني، مثل قائمة تدقيق اعتلال الصحة النفسية **لهير**.

النماذج الجزئية للانتقال إلى الفعل الإجرامي

نموذج العملية المولدة للإجرام للفعل الخطير عند دي جريف

بالنسبة **لدي جريف،** فإن رد الفعل النفسي الأولي من نوع رد الفعل على الظلم الواقع عند نوعين من الجانحين: أولئك الذين يعيشون بشكل دائم تحت علامة الظلم الواقع وعانوا من عملية نضوج إجرامي أثر على تكوين وتطور شخصيتهم،و أولئك الذين، على العكس من ذلك، يعرفون ردود فعل انتيابية عرضية للظلم الواقع والذين يكون فعلهم الإجرامي في هذه الحالة تتويجًا لتشكل العملية الإجرامية على غرار عملية التعلم كما وصفها منظرو الاختلاط التفاضلي؛ اعتبارًا من لحظة معينة يكون فيها التعلم قد اكتمل تقريبًا، تتشكل شخصية الفرد وتتصلب بطريقة ما بحيث عند أدنى فرصة، يتم استهلاك الفعل الإجرامي، إلى حد ما بالطريقة التي تسقط بها الفاكهة الناضجة من الشجرة. وفي المقابل، فيما يتعلق بالفئة الثانية من الجانحين، فإن عملية الانتقال إلى الفعل تظهر كظاهرة أكثر تحديدًا وتعقيدًا حيث يلعب عامل الوقت دورًا أساسيًا. على وجه التحديد من أجل هذه الفئة الثانية من الجانحين وصف دي جريف نموذج عملية الفعل الخطير. تفترض مقاربة هذه العملية أولا تحديد ما نقصده

بـ "الموقف المولّد للإجرام" (أ)، بعد ذلك سيكون من الممكن فهم التطور نحو الانتقال إلى الفعل (ب)(Gassin,Cimamonti,Bonfils,2011:587).

على خطى **دي قراف** أسس **بيناتال(Pinatel)** نظريته المسماة **بالنواة المركزية** للشخصية المجرمة محاولا بذلك تبيان العلاقة بين السلوك وملامح الشخصية من خلال النواة المركزية التي تشمل النزعة الأنانية، العدوان والذهول العاطفي، وهذا الجوهر هو الذي يحكم المرور إلى الفعل، ومن بين الملامح الأساسية للشخصية المجرمة التي توصل إليها من خلال أبحاثه، ضعف السيطرة على النفس، عدم تقبل الإحباط، انعدام الإحساس بالذنب وهي جزء من محددات الشخصية السيكوباتية والتي يعبر عنها اليوم في دليل الطب العقلي **DSMIV بالشخصية المضادة للمجتمع**.

-نظرية الإحباط والعدوان

اقترح فرويد في كتاباته الأولى، أن السلوك العدواني هو استجابة طبيعية للإحباط والقيود المفروضة على الشخص. تم تطوير هذه النظرية لاحقًا في كتابات ج. دولارد، ألبرت باندورا، ريتشارد والترز، وغيرهم. وترى نظرية الإحباط والعدوان لصاحبها **دولارد** أن الإحباط يمكن أن يؤدي إلى أشكال مختلفة من السلوك، بما في ذلك التراجع والتحول النفسي، والتخيل العدواني، وأن العدوان المباشر نحو الآخرين هو النتيجة الأكثر احتمالاً. نظرًا لأن الجميع يعانون من الإحباط في الحياة (بدءًا من فترة الفطام والتدرب على استخدام الحمام)، فإن العدوان هو نتيجة طبيعية للعيش، ولكن يمكن تجسيده بطرق اجتماعية مقبولة (مثل الرياضات الجسدية، ومهن الشرطة والجيش، والهجمات اللفظية البسيطة) و/أو يمكن المشاركة فيه بشكل غير مباشر من خلال مشاهدة الآخرين يقومون بأفعال عدوانية (في الأفلام، وعلى التلفزيون، وفي الخيال). استخدم دولارد مصطلح "التحويل" النفسي لوصف نوع العنف الذي يتم تفريغه على شيء أو شخص ليس مصدر الإحباط الأصلي، واقترح

أن ارضاء الرغبات العدوانية من خلال المشاهدة كان شكلًا من أشكال "التطهير".(Schmalegger,2014,pp67-68)

وكبح الإحباط في هذه الحالة لا يعني زوال الاستعدادات العدوانية، وكنتيجة لذلك يمكن أن يتضمن السلوك أربعة استجابات رئيسة:

1/ تحرير العدوان مباشرة تجاه العامل المحبط كالقتل أو الجرح.

2/تحويل العدوان الى بديل عن العامل المحبط أو سلوك عدواني مقنع.

3/العدوان الذاتي أين يحول العدوان نحو الشخص ذاته مثل الانتحار.

4/الاستعلاء أين يتحول العدوان الى شيء بناء ومقبول اجتماعيا.

أعيد النظر فيما بعد من طرف **بركويتز (Berkowitz)** في نتائج هذه النظرية والتي كانت متناقضة في مضمونها حيث يرى أن الإحباط لا يقود بالضرورة إلى السلوك الانحرافي ولا يوجد ما يثبت أن هناك رابط مباشر بينهما، فالإحباط ما هو إلا جزء من الحالات الانفعالية التي تقود إلى الانحراف بتوفر عوامل خارجية تصاحب ردة الفعل الانفعالية. (Gassin,et *All*,2011,pp. 221-222)

في عام 1960 درس **ستيوارت بالمر** القتلة مع مجموعة ضابطة لتحديد درجة الإحباط الذي تعرضوا له كأطفال. وجد أن القتلة الذكور كانوا قد تعرضوا لإحباط أكثر بكثير مقارنة بالآخرين، وأن القتلة أبلغوا عن أكثر من ضعفي عدد التجارب المحبطة – بدءًا من الولادات الصعبة إلى الأمراض الخطيرة والضرب في الطفولة، وتدريبات استخدام الحمام الصعبة، وتجارب سلبية في المدرسة – مقارنة بأقرانهم الذين يحترمون القانون (Schmalleger, 2014,pp.67-68) .

2. 3الحوار بين التخصصات: علم النفس مقابل علم الاجتماع مقابل علم الأحياء

لا يمكن اعتبار النظريات النفسية والاجتماعية والبيولوجية تفسيرات متنافسة، بل هي وجهات نظر متكاملة .يركز المنهج النفسي على المستوى الفردي، ويفسر الجريمة من خلال سمات الشخصية والعمليات المعرفية والخبرات الحياتية .يقع النهج الاجتماعي في مستوى المجموعات الاجتماعية والمجتمع، مع إبراز تأثير عوامل مثل الفقر والتفكك الاجتماعي أو المعايير الثقافية. يقدم منهج دوركهايم، الذي يعتبر الجريمة "ظاهرة طبيعية" وحتى "عادية" مصاحبة لتطور المجتمع، تناقضًا صارخًا مع الرؤية النفسية التي تعتبرها خللًا وظيفيًا فرديًا .بينما يركز المنهج البيولوجي على العوامل الفسيولوجية والكيميائية العصبية والوراثية. غالبًا ما يرتبط بنظريات تعود إلى المدرسة الوضعية الإيطالية، مثل نظرية سيزار لومبروزو ومفهومه عن "المجرم بالفطرة ."لقد فرض علم الإجرام الحديث نفسه كـ "علم متعدد التخصصات" أو "علم تركيبي" يدمج المعرفة من هذه التخصصات المختلفة. يجب أن يأخذ التحليل الشامل للجريمة في الاعتبار "السلوك البشري، وتداخل الديناميكيات الاجتماعية، والظروف الاقتصادية، والتأثيرات النفسية، والمكونات الهيكلية".

يوضح تقرير خبراء علم النفس الجنائي أن تحليل الجريمة يتطلب دراسة ليس فقط الأسلوب الإجرامي للمجرم، ولكن أيضًا أسلوب حياته وفرصه وتنظيماته النفسية. يتمثل التحدي في التعبير عن هذه المناهج لإنشاء نموذج شامل قادر على توجيه الوقاية وإعادة التأهيل.

المحور الثالث

الشخصية المضادة للمجتمع

تمهيد:

يتناول هذا المحور إحدى أخطر الشخصيات المرضية التي يحللها علم النفس، وهي الشخصية السيكوباتية أو المضادّة للمجتمع، من حيث عوامل الاضطراب وظروف نشأته، وأعراضه المبكرة، وكيفية تطوّره عبر الزمن، مع إمكانية تشخيصه في المراحل الأولى. كما يتطرّق المحور إلى بعض الأساليب العلاجية الممكنة والإجراءات الوقائية، إلى جانب تقديم نموذج عن هذه الشخصية المضادّة للمجتمع من خلال مثال مستمدّ من تاريخ السجلات الإجرامية العالمية.

1-تعريف الشخصية المضادة للمجتمع

لقد وصف الطبيب الفرنسي "**بينل** Pinel أحد رواد مجال الاضطرابات العقلية حالة غير مألوفة، ولا يمكن تصنيفها تحت أي فئة تشخيصية من الاضطرابات العقلية المعروفة في ذلك الوقت، وقد وصف هذه الحالة باختصار بأنها "جنون دون تشويش" ويصف مجموعة من الأشخاص لا تظهر عليهم أي إضطرابات في قدراتهم العقلية، ولكن سلوكهم يصل في عدم امتثاله إلى ما يصل إليه سلوك الكثير من الأشخاص المضطربين عقليا، هؤلاء المرضى ليسوا بذهانيين، ولا هم عصابيين حقا، كما أنهم لا يعانون من أي نوع من أمراض الاستجابات النفسجمية على الاطلاق، يتصفون بخاصية واحدة مشتركة فيما بينهم وهي اختلال الخلق، أي أنه يصدر عنهم سلوك خارق للقانون الأخلاقي السائد في المجتمع، كما أن الأساليب المختلفة التي يستخدمها هؤلاء الأشخاص للتعبير السلوكي عن صراعاتهم تتفاوت فيما بينها يجعل من تجميعهم كلهم في صنف واحد أمرا لا مبررله، وقد وصف هؤلاء الأفراد من هذا النوع على مر التاريخ عدة أصناف مختلفة مثل النقص السيكوباتي التكويني، والاختلال الخلفي، والضعف العقلي الخلقي، والسوسيوباثية (شحاته وأخرون، 2004: 227).

مفاهيم تاريخية لاضطراب الشخصية السيكوباثية:

كونها حالة قابلة للوراثة بشكل كبير، فإن السيكوباتية قد ألحقت بالبشرية ألمًا عبر تاريخها. هناك العديد من مقاطع بعض النصوص التي، على الرغم من عدم استخدامها للغة السريرية المتعلقة بالسيكوباتية، إلا أنها تصف شخصًا يبدو أنه يتصف بالعديد من خصائص السيكوباتية ويتصرف بطرق مظلمة وخبيثة وإجرامية. مثل: "الشخص الباطل، الرجل الشرير، هو الذي يمشي بفم ملتو، الذي يغمز بعينيه، الذي يلوح بقدميه، الذي يشير بأصابعه؛ الذي يفكر في قلبه في الشر باستمرار، الذي ينشر الخصام."

هناك اعتقاد آخر يشير إلى أن تنظيم سلوك الشخص نفسه أمر أساسي للعيش الاجتماعي الإيجابي، وأن الذين لا يستطيعون أو لا يرغبون في كبح غرائزهم الأساسية يكونون عرضة للسلوك المنحرف والشر.

في تاريخها السريري الطويل الذي يمتد لأكثر من قرنين، كانت السيكوباتية تُميز عادة بمصطلحات مزدرية تركز على النقائص الشخصية للفرد ومشاركته (عادة) غير المتزعزعة في السلوك المنحرف. بخلاف تسمية بينال (1801) "الجنون بدون هذيان أو تشويش" التي كانت محايدة أخلاقيًا، لاحظ الباحثين لاحقًا الطبيعة السلبية والمنفرة للحالة. اذ قد تترتب على الطبيعة السلبية للسيكوباتي تبعات مهمة للاعتبارات المتعلقة بالذنب الأخلاقي، وللتبريرات لمختلف العقوبات القانونية والتأديبية المفروضة، وللأفكار حول احتمالية إعادة تأهيله. عندما يكون سلوك الشخص عدائيًا لهذا الحد وتكون أدلة تصرفه المنحرفة متواجدة بشكل سائد، يكون من السهل الاعتقاد بأنه يجب السيطرة عليه ومعاقبته في مصلحة السلامة العامة، بدلاً من التعبير عن الاهتمام بإمكانية تأنيبه وبالتالي الاستثمار في علاجهّ. (DeLesi,2016,pp.17-18)

الشخصية المضادة للمجتمع حسب الدليل التشخيصي DSM IV

السمة الأساسية للشخصية المضادة للمجتمع هي نمط عام من الازدراء وانتهاك حقوق الآخرين الذي يظهر في الطفولة أو في بداية المراهقة ويستمر في سن البلوغ. لقد تم تسمية هذا النمط أيضًا بالمرض النفسي، أو السوسيوباتي، أو الشخصية الاجتماعية المنحرفة. نظرًا لأن الخداع والتلاعب يشكلان جوهر الشخصية المنحرفة، يمكن أن يكون من المفيد جدًا مواجهة المعلومات المحصل عليها من خلال الفحص النظامي للمريض مع تلك القادمة من مصادر خارجية. لا يمكن تشخيص هذا المرض إلا إذا كان المريض في سن 18 عامًا أو أكبر (المعيار ب) وقد ظهرت لديه بالفعل قبل سن 15 عامًا بعض الأعراض على

الأقل من اضطراب السلوك (المعيار ج). ينطوي اضطراب السلوك على نمط متكرر ومستمر من السلوك حيث يتم انتهاك الحقوق الأساسية للآخرين والقواعد الاجتماعية الرئيسية التي تحترم في هذا العمر. يمكن أن تتكون السلوكيات الخاصة التي تشكل سمة اضطراب السلوك من أربعة أنواع: الاعتداء على الأشخاص أو الحيوانات، تدمير الممتلكات، الاحتيال أو السرقة، أو انتهاكات خطيرة للقوانين.

هذا النوع من السلوك المعادي للمجتمع يستمر في سن البلوغ. ويكون أصحابه غير قادرين على الامتثال للمعايير الاجتماعية التي تحدد السلوك القانوني (المعيار الأول). يمكنهم انجاز بشكل متكرر أفعالا قابلة للتورط مع القانون (سواء تم القبض عليهم فعلياً أم لا)، مثل تدمير الممتلكات، والاعتداء على الآخرين، والسرقة، أو الانخراط في أنشطة غير قانونية. إنهم لا يأخذون في اعتبارهم رغبات أو حقوق أو مشاعر الآخرين. يخدعون ويتلاعبون بسهولة من أجل مصلحتهم أو تسليتهم (على سبيل المثال، للحصول على المال، أو السلطة، أو العلاقات الجنسية). يمكن أن يكذبوا بشكل متكرر، ويستخدمون هويات مزيفة، ويقومون بالاحتيال أو تقمص الأمراض. يمكن أن تظهر الاندفاعية من خلال عدم القدرة على التخطيط مسبقًا. يتخذون القرارات في اللحظة الأخيرة، دون تفكير ودون مراعاة العواقب على النفس أو الآخرين. يمكن أن يؤدي هذا إلى تغييرات مفاجئة في العمل أو الإقامة أو العلاقات. يميل الأشخاص الذين يعانون من اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع إلى أن يكونوا سريعي الغضب وعدوانيين، وقد يجدون أنفسهم متورطين في مشاجرات بشكل متكرر أو يهاجمون الآخرين جسديًا (بما في ذلك ضرب الشريك أو الابن). لا يُنظر هنا إلى الأفعال العدوانية التي تمارس في حالة الدفاع عن النفس أو لحماية الآخرين. يمكن أن يظهروا استهتارًا لا مبالي بسلامتهم أو سلامة الآخرين. يمكن أن يتجلى ذلك في قيادتهم للسيارة (بسرعة زائدة، أو القيادة وهم تحت تأثير الكحول، أو وقوع حوادث

بكثرة). يمكن أن يخاطروا بتصرفات جنسية أو تعاطي مخدرات عالية الخطورة. يمكن أن يهملوا رعاية الأطفال أو يعرضوهم للخطر عن طريق عدم تقديم الرعاية والاهتمام اللازمين.

هؤلاء الأشخاص عرضة بشكل شديد لعدم المسؤولية بشكل دائم (المعيار A6). يمكن أن يتجلى السلوك غير المسؤول في البقاء خلال فترات طويلة من دون نشاط على الرغم من توفر وظائف، أو التخلي عن عدة وظائف دون وجود خطط واقعية للعثور على شيء آخر. قد يكون هناك نمط سلوكي يتمثل في الغياب المتكرر عن العمل غير المبرر بمرض الفرد أو عائلته. يمكن أن يتجلى السلوك غير المسؤول مالياً من خلال عدم الالتزام بالديون، أو عدم توفير احتياجات الطفل، أو عدم توفير سبل المعيشة بانتظام للأشخاص المعتمدين عليه. هؤلاء الأفراد ليس لديهم ندم على عواقب أفعالهم (المعيار A7). يمكن أن يظهروا غير مبالين، أو يقدمون تبريرات سطحية، عندما يؤذون، يسيئون المعاملة، أو يسرقون شخصاً ما (على سبيل المثال، "الحياة غير عادلة"، "الخاسرون يستحقون ذلك"، "كان يجب عليه أيضاً أن يحدث له هذا"). قد يلومون ضحاياهم (مثلاً، بأنهم كانوا غبيين، أو لا يعرفون كيف يتصرفون، أو يستحقون ما حل بهم). قد يقللون من العواقب الضارة لأفعالهم أو يظلون ببساطة غير مبالين تماماً. عادة ما لا يستطيعون الاعتذار أو تصحيح سلوكهم. قد يعتقدون أن الجميع يناضل من أجل مصالحهم الشخصية وأن كل شيء جائز لعدم السماح للآخرين بالاستفادة على حسابهم. لا يجب أن يحدث هذا السلوك المعادي للمجتمع حصرياً أثناء تطور الفصام أو حدوث حالة من الهوس (المعيار D) . (American Psychiatric Association, 2000,)

2-السمات والاضطرابات المرتبطة بالأفراد الذين يعانون من الشخصية المضادة للمجتمع

غالبًا ما يفتقرون إلى التعاطف ويميلون إلى أن يكونوا غير أخلاقيين وساخطين ومتجاهلين لمشاعر الآخرين وحقوقهم ومعاناتهم. قد يكون لديهم رأي مغرور ومتعجرف عن أنفسهم

(على سبيل المثال، يعتقدون أن العمل العادي لا يليق بهم أو أنهم غير قادرين على الاهتمام بمشاكلهم الحالية والمستقبلية بشكل واقعي)؛ كما أنهم قد يكون لديهم آراء حول كل شيء، ويكونون جريئين وواثقين جدًا من أنفسهم. قد يكونون ساحرين وسطحيين وجذابين، ويتحدثون بسهولة (على سبيل المثال، باستخدام مصطلحات تقنية أو متخصصة قد تثير إعجاب الشخص العادي). نقص التعاطف، وجهة النظر المغرورة والجاذبية السطحية هي سمات عادة ما تكون مشمولة في المفاهيم التقليدية للمرض النفسي الذي يمكن أن تكون مفيدة جدًا لتشخيص الشخصية المضادة للمجتمع أو للتنبؤ بالتردد على السجون أو في السياقات الطبية والقانونية حيث أن الأفعال العدوانية والإجرامية والجنائية ليست محددة لهذا التشخيص. يمكن أن يكون هؤلاء الأفراد غير مسؤولين ويستغلون الآخر في العلاقات الجنسية.

قد يكون لديهم شركاء جنسيين كثيرين ولا يحافظون أبدًا على علاقة زوجية دائمة. قد يكونون أيضًا غير مسؤولين كوالدين، وقد لا يهتمون بتغذية أطفالهم بشكل صحيح، مما يؤدي إلى مرضهم نتيجة لنقص التغذية أو النظافة الأساسية، وقد يعتمدون على الجيران للحصول على الطعام. يمكن أن يكون هؤلاء الأشخاص قد خرجوا من الجيش دون تحقيق الاكتفاء الذاتي، وقد ينزلون إلى مرتبة الفقر، وربما يصبحون بلا مأوى أو يقضون سنوات عدة في السجن. اذ إنهم عُرضة بشكل متزايد للوفاة المبكرة بشكل عنيف مقارنة بالسكان العاديين (على سبيل المثال، الانتحار، الحوادث، القتل.)

الأشخاص الذين يعانون من الشخصية المضادة للمجتمع قد يشعرون بالاكتئاب ويشكون من التوتر وعدم قدرتهم على تحمل الملل ويكون مزاجهم متقلب. يمكن ملاحظة ارتباطهم باضطرابات القلق والاكتئاب واضطرابات متعلقة بالمواد المخدرة وإدمان القمار واضطرابات أخرى في السيطرة على الاندفاعات. كما تظهر لديهم في كثير من الأحيان سمات الشخصية

التي تستجيب لمعايير اضطرابات الشخصيات الأخرى، بما في ذلك الشخصيات الحدية والهستيرية والنرجسية. يزداد احتمال ظهور الشخصية المنحرفة لدى الكبار في حال وجود تاريخ من اضطراب السلوك في سن مبكرة (قبل سن العاشرة) مرتبط بنقص في الانتباه وفرط النشاط. كما يزداد احتمال تطور اضطراب السلوك إلى شخصية منحرفة لدى الطفل الذي يعاني من سوء المعاملة أو الإهمال، أو من تواجد الوالدين غير الثابت أو غير المنتظم أو ممارسة السلطة بشكل غير متناسق. (American Psychiatric Association, 2000,pp.808-810)

3-أنواع الشخصية المضادة للمجتمع:

أثناء عمله في التقليد النفسي التحليلي، كان **كاربمان** أحد روَّاد الدراسات العلمية للسيكوباثية. في سلسلة مستمرة من الأعمال العلمية، أكد كاربمان (1929، 1930، 1941، 1946، 1947) على دور الأنا الأعلى في السلوك الإجرامي وقام بإنشاء تصنيف للسيكوباثية يعرف حاليًا باسم السيكوباثية الأولية Primary psychopathy والسيكوباثية الثانويةSecondary psychopathy. وقد قام كاربمان بتحديد الفرق بين السيكوباثية من دون سبب (التي تعرف اليوم باسم السيكوباثية الأولية) و السيكوباثية الأعراضية (التي تعرف اليوم باسم السيكوباثية الثانوية).

السيكوباثية الأولية: لقد افترض العلماء أن السيكوباثية الأولية تعود لأسباب وراثية وتتسم بغياب العواطف السلبية، خصوصًا القلق، وبأشكال أكثر جدوى أو انغماسًا لسلوك هدام أو مضاد للمجتمع.

السيكوباثية الثانوية: تم تفسير السيكوباثية الثانوية كنتيجة لتعرض شديد للصدمات النفسية وتتميز بسلوكيات مضادة أو معادية للمجتمع مصحوبا بعواطف سلبية، مثل القلق والاكتئاب(DeLesi,2016,p.21) .

وفقًا لبلاير (1995، 1999)، هناك فرق بين السيكوباتية الأولية والثانوية؛ اذ أن الأفراد الذين يمتلكون سمات سيكوباتية أولية عالية يشعرون بمزيد من المتعة وأقل تعاطفًا عند رؤية شخص يعاني، مقارنة بالسيكوباتيين الثانويين، حيث يظهرون خللًا انتقائيًا في التعاطف العاطفي بعدم معالجة التعبيرات الحزينة والخائفة بشكل مناسب. يبدو أن نقص التعاطف هو سمة شائعة بين الأفراد الذين يعانون من اضطراب الشخصية والميول العدوانية(Bogaerts,2013:386).

اقترح بلاكبيرن، ولوجان، ودونلي، ورينويك (2008) في دراسة لهم أن درجة الانسحاب أو الانفصال يمكن اعتبارها العامل الرئيسي للتمييز بين السيكوباثية الأولية والثانوية. والجدير بالذكر أن بلاكبيرن وآخرون (2008) حددوا أربع فئات لملامح السيكوباثية بين مرضى الطب النفسي الشرعي: الأولي (منفتح، واثق من نفسه، متهور، عدواني)، والثانوي (متهور، عدواني، قلق اجتماعيًا، منسحب، متقلب المزاج)، والمكبوت (منطوٍ على نفسه، منسحب، متحكم فيه، مكتئب)، والمسيطر (دفاعي، متوافق، اجتماعي، غير عاطفي). في حين أن كلتا المجموعتين من ذوي السيكوباثية الأولية والثانوية كانتا متشابهتين في الاندفاع والعدوانية وغير اجتماعيتين، إلا أن المجموعة الثانوية كانت أكثر انطوائية وأظهرت مستويات أعلى من اضطراب ما بعد الصدمة وزيادة في معدل الاعتداء. وهكذا، فقد اقترح أن المجموعة الضابطة للسيكوباثيين كانت نوعًا مختلفًا من السيكوباثية الأولية . (Cunliffe, T and all,2013:471)

4-الأسباب المفسرة للشخصية المضادة للمجتمع

-التفسير السيكلوجي:

إذا كان الفرد لا يولد مجرما، وإذا كانت الركائز العضوية لا تعطي المفتاح للتكوين الإجرامي، فما هي الافتراضات التي يطرحها علم النفس لتفسير السلوك الجانح؟ بالنسبة لعالم الإجرام البلجيكي **اتيان دي قراف (Etienne de Greeff)**، فقد قدم مقاربة ذات طبيعية ظاهرتية **(phénoménologique)** أساسها البحث في مفهوم السلوك الإنساني نحو الانحراف داخل إطار علائقي اجتماعي ذو جوانب سيكولوجية، فالبنسبة لهذا الاتجاه يحذو الفرد إلى فقدان السيطرة على دوافعه الأساسية وتنازله عن قواعد حسن السيرة والسلوك في المجتمع نتيجة إحساسه باللاعدالة الاجتماعية وفقدانه لطعم الحياة وبالتالي يحاول البحث عن الوسط الذي يقبله بصورته الجديدة التي تكونت في ذاته وإعطائه الدعم النفسي لتكوينه الإجرامي لكن ما يميز هذا المنحرف من الناحية النفسية عن باقي أفراد المجتمع هو مروره إلى الفعل، وهو بمقاربته هذه-أي **دي قراف**- نجده ينافي النظرة الوضعية الحتمية والكلاسيكية للاختيار الحر في تحديد المسؤولية الجنائية والتي تختلف من الناحية النفسية تماما مقابل النظرة البيولوجية .

على خطى **دي قراف** أسس **بيناتال(Pinatel)** نظريته المسماة **بالنواة المركزية** للشخصية المجرمة محاولا بذلك تبيان العلاقة بين السلوك وملامح الشخصية من خلال النواة المركزية التي تشمل النزعة الأنانية، العدوان والذهول العاطفي، وهذا الجوهر هو الذي يحكم المرور إلى الفعل، ومن بين الملامح الأساسية للشخصية المجرمة التي توصل إليها من خلال أبحاثه، ضعف السيطرة على النفس، عدم تقبل الإحباط، انعدام الإحساس بالذنب، وهي

جزء من محددات الشخصية السيكوباتية التي يعبر عنها اليوم في دليل الطب العقلي **DSMIV بالشخصية المضادة للمجتمع.**

-علم وراثة السلوك

لقد اقترح بعض الباحثين أن الجريمة متمركزة بشكل كبير في عدد قليل من العائلات، حيث وجدت دراسة أن 5٪ من العائلات تمثل 53٪ من الاعتقالات في العينة. ومع ذلك، كيف يمكننا تحديد مقدار التمركز العائلي للجريمة الذي يعزى إلى الجينات مقابل البيئة؟ لقد تم التعرف منذ فترة طويلة على المهمة المعقدة لتفكيك التأثيرات الاجتماعية والوراثية للعائلة.

"ويعتبر علماء الوراثة السلوكية" هم الباحثون المكرسون لفك تأثيرات الجينات على البيئة، وهناك منهجيتان أساسيتان يستخدمهما علماء الوراثة السلوكية في "دراسات التوائم"، اذ يوفر التوأمان المتطابقان سيطرة طبيعية على التباين الوراثي. يمكن للباحثين مقارنة الشبه السلوكي النسبي للتوائم المتطابقين (أحاديي المنشأ)، الذين يشتركون في جميع جيناتهم، مع التوائم الأخويين (ثنائيي المنشأ)، الذين لا يشتركون في الجينات. يُفترض أن أي تباين في الشبه السلوكي لأزواج التوائم بين أنواع التوائم يعزى إلى الجينات. في "دراسات الاعتماد"، يتم تقييم الأطفال المتبنين لشبههم النسبي بوالديهم البيولوجيين، الذين يشتركون معهم في الجينات، ووالديهم المتبنيين، الذين يشتركون معهم في البيئة. لقد أدت الجهود المبذولة لفك تأثيرات الجينات والبيئة النسبية إلى قناعة بعض الباحثين بأن التأثيرات المباشرة وغير المباشرة للجينات قد تمثل ما يصل بين "40% إلى 50% من التباين السكاني في السلوك المضاد للمجتمع"

-علم وظائف الأعصاب والجريمة

يشير علم وظائف الأعصاب إلى دراسة الدماغ والجهاز العصبي. و يمكن أن تؤثر التغييرات في هيكل الدماغ أو وظيفته على السلوك بشكل ملحوظ، كما في حالة فينياس بي جيج، رئيس السكة الحديدية الذي نجا من انفجار تسبب في دخول قضيب حديدي طوله ياردة من خلال جمجمته، ورغم انتزاعه الا أنه أحدث في شخصيته تغيرات الى الأبد. وتشمل أمثلة حديثة أخرى ما يلي: صبي من ويسكونسن، كان ثرثارا ومحبا، أصبح متحجر القلب واندفاعيًا بعد أن تعرض لأذى دائم في الدماغ نتيجة لحادث في سن العاشرة. وبعد ثلاث سنوات، في عام 2012، دخل هو وصديقه منزل جدته ، من أجل السرقة، وقتلها بفأس وسكين.

زوج في المملكة المتحدة، سقط من الدرج في عام 2006 مما تسبب في إصابته بأذى كبير في الفص الجبهي من دماغه. لاحظت كل من زوجته البالغة من العمر 42 عامًا وابنتهما "تغير شخصيّته بالتأكيد" بعد الحادث، الذي جعله مُهووسًا وعدوانيًا. في عام 2010، وخلال تعرضه لأوهام بأن زوجته تحاول تركه، قام بطعنها حتى الموت.

• المصارع العالمي الشهير كريس بينوا، الذي قتل زوجته وابنه البالغ من العمر 7 سنوات ثم شنق نفسه في عام 2007. كانت هذه خطوة صادمة بالنسبة لـ "الأب المخلص والزوج الذي كان يقدّر الوقت مع عائلته." كشف البحث عن الأدلة على وجود أضرار كبيرة في المخ ناتجة عن الضربات التي تلقاها بينوا على رأسه خلال مسيرته، والتي قد تكون لعبت دورًا في الجريمة المزدوجة والانتحار.

-الهرمونات والجريمة

هناك دليل يشير إلى أن الهرمونات الذكرية (المجمعة تحت مسمى "الأندروجينات")، وخاصة هرمون التستوستيرون، تلعب دورًا على الأقل في بعض التباين الجنسي في الجريمة العنيفة. يرتبط هرمون التستوستيرون بالعدوانية والسلوك التنافسي والعنف. وقد اقترح **إليس** أن الأندروجينات تؤثر في الجريمة من خلال:

• الحفاظ على مستوى أدنى من الاستفاقة في الجهاز العصبي، مما يشجع على البحث عن الإثارة ويقلل من الحساسية تجاه العواقب السلبية.

• جعل الذكور أكثر عرضة للنوبات الصغيرة مثل "رد فعل نفسي ذهاني limbic" psychotic trigger reaction," وهو حدث نادر يؤدي إلى تغيير الوظيفة الكهربائية أو الكيميائية للدماغ ويسبب حدوث حالة قصور وخروج عن الواقع قد يتضمن هلوسات، وأوهام، وتراجعًا إلى الدوافع الأساسية، والتي قد تشمل العنف الشديد.

• تفضيل السيطرة على الجانب الأيمن من الدماغ، الذي يميل إلى التوجيه المكاني والزماني أكثر ولا يرتبط كثيرًا بالمنطق الأخلاقي القائم على التعاطف (Winters,Globocar,Roberson,2014,pp64-66)"

-الجنوح المزمن

يرى خبراء في علم الاجرام أنه على الرغم من انتشار الجريمة الذي يبدو مرتفعا من النظرة الأولى، إلا أن جزءًا كبيرًا جدًا من الأعمال الإجرامية المرتكبة يمكن أن يعزى إلى مجموعة محددة من الجانحين. وبمعنى آخر، يقوم عدد محدود دائمًا من الأشخاص بارتكاب عدد كبير من الجرائم. هذه الحقيقة معروفة منذ وقت طويل، ولكنها تم تأكيدها بشكل بارز في الأبحاث الطويلة الأمد الأخيرة (وولفجانغ وآخرون، 1972؛ ويست، 1982؛ هابانين

وجيسنيس، 1982؛ فريشيت، 1980). في كيبيك، أظهرت العديد من الدراسات التي أُجريت خلال الـ 15 عامًا الماضية أهمية الجريمة المزمنة في الظاهرة بأكملها. فقد بين **لوبلان** (1968) أن 60% من الجرائم المسجلة من قبل شرطة مونتريال هي في الواقع تكرار لأعمال سابقة. من جهته، يرى بوسوليه (1968) أن 56% من الأولاد الذين يمثلون أمام المحاكم للقصر هم متعودون على ارتكاب الجرائم؛ وعلى نفس النحو، أحصى لوبلان 62% من العائدين الى الاجرام بين القصر كانو تحت مسؤولية الإشراف (1972) و75 إلى 80% منهم من بين نزلاء المؤسسات الداخلية الرئيسية.

هذا الاكتشاف الذي يبدو بسيطًا، وربما تافهًا، يكتسي في الواقع أهمية قصوى. ففي الواقع، لا يمكن إنكار أن مجموعة محدودة من الأشخاص تحمل بمفردها نسبة مفرطة من الجرائم المرتكبة، وذلك ابتداءً من النصف الأول من مرحلة المراهقة (فريشيت، 1980). ونظرًا لحجم الأفعال المتراكمة أو بلغة علم الاجرام، نظرًا لشدة الانخراط في العمل الجنائي، تبرز هذه المجموعة بوضوح عن باقي المراهقين من خلال مشاركتها الكبيرة في الأنشطة غير القانونية وسلوكها المعادي للمجتمع بشكل واضح؛ ويبدو أن هذه الخصوصية تظهر بشكل أكبر في سن مبكر نسبيًا، قبل أن يكون الوصم الاجتماعي الرسمي والتورط القضائي قد أثرا سلبًا. وبالتالي، يظهر لدى مجموعة محدودة من الشباب نمطًا أكثر قلقًا بشكل واضح للتعبير عن الجرائم يميزهم عن أقرانهم، وظهور هذا النمط يتناقض مع الفرضية التي تقول أن توزيع الجريمة يخضع بصرامة للصدفة، أو تلك التي تنسب تفاقم الجريمة إلى التورط القضائي، أو التي تعتبرها نتيجة لردة الفعل الاجتماعية(Frechette,Leblanc,1987,p.473-474)

5-علاج اضطرابات الشخصية المضادة للمجتمع

يمكن تمييز أساليب علاج المجرمين السيكوباثيين إلى العلاج التأهيلي وتقليل المخاطر وعلاج الشخصية بجوهرها .(Polaschek & Skeem, 2018) في النوع الأول من العلاج ، يكمن التركيز على تقليل عوامل الخطر لاحتمالية ارتكاب جرائم مرة أخرى، مثل مشاكل استخدام المواد المخدرة، وأنماط التفكير الإجرامي، وسوء إدارة الغضب. وهناك علاج تم تطويره مؤخرًا يندرج تحت هذا النوع وهو برنامج علاج الشخصية المضادة للمجتمع الذي أعده (Wong, 2013)؛ .(Wong & Hare, 2005)أما النوع الثاني من العلاج، فهو موجه نحو تغيير السمات الأساسية لاضطراب الشخصية السيكوباثية (PD) ، مثل العاطفة المحدودة وعدم القدرة على تنظيم العواطف. (Hildebrand, Ruiter,2022,p360)

التدخلات الوقائية من منظور تطوري بيوسيكولوجي/ اجتماعي

يعتبر فهم الآليات التطورية البيوسيكولوجية الدافعة الى تكون السلوك المضاد للمجتمع مثير للاهتمام من منظور علمي، ولكن كيف يساهم هذا المجال المعقد عن البحث في الوقاية من سلوكيات الانحراف الاجتماعي؟ تظهر أربعة مواضيع مترابطة لتوجيه التدخلات الوقائية. أولاً، نحن نعلم الآن أن سلوكيات الانحراف الاجتماعي تبدأ في الطفولة المبكرة وترتبط بالعديد من عوامل الخطر الأمومية والأبوية السابقة للولادة ومع آليات وراثية وجينية بين الأجيال تؤثر على تطوير الجنين وتعزز التسلسلات التطورية للتأثيرات الضارة. في الواقع، الأطفال الذين يظهرون سلوكيات الانحراف الاجتماعي بشكل مبكر يكونون أكثر عرضة للحفاظ على تكرارات عليا لهذه السلوكيات حتى البلوغ. إذا كانت عوامل الخطر المبكرة لها تأثيرات متزايدة وواسعة الانتشار، فإن الاستنتاج هو أن التدخلات الوقائية المبكرة يجب أن تؤدي إلى فوائد واسعة الانتشار. لذلك، ينبغي أن تكون التدخلات الوقائية التي تبدأ خلال فترة الحمل أو حتى في وقت سابق أكثر فعالية بكثير، من منظور سلوكي

واقتصادي، من العلاج الذي"" يبدأ في وقت لاحق في الحياة (McDonough-Caplan & Beauchaine, 2018; Tremblay et al., 2018) ثانياً، كما تظهر الدراسات عوامل الخطر متعددة المستويات تعمل عبر فترات تطويرية مختلفة، يجب أن يستفيد الأطفال المضطربون للغاية في سن الطفولة المبكرة من التدخلات الوقائية/الداعمة على مدار طفولتهم ومراهقتهم .

تكون البرامج الوقاية أكثر نجاحاً عندما تستهدف الأفراد الضعفاء وعائلاتهم ومجتمعاتهم التي تعاني من عدد من العوامل الخطرة لتطوير السلوكيات الضارة، مقارنةً بالعلاج المطبق عالمياً .(Samek & Hicks, 2014) على سبيل المثال، قد أدى تقديم زيارات داعمة للمنزل على مدى فترة سنتين للنساء الحوامل الشابات ذوات الوضع الاجتماعي المحروم، إلى تقليل حالات إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم والإضطراب الجنائي للأم (Olds et al., 2007) وأظهرت المتابعة اللاحقة بعد 19 عاماً، تقليلاً كبيراً في عدد الاعتقالات لدى الذكور من الأجيال القادمة .(Eckenrode et al., 2010) وفيما بعد، أظهرت البرامج المستهدفة لقدرات الاستيعاب العقلي للأطفال ومهارات التأديب لآباء الأطفال ذوي الوضع الاجتماعي المحروم في سن 3-5 سنوات آثاراً إيجابية على المدى القصير (النجاح الأكاديمي) والمدى البعيد (منع الاعتقالات والإحالات على المحاكم .(Garces et al., 2002) ويمكن أيضاً استهداف البيئة الاجتماعية من خلال مراكز الرعاية النهارية، والمدارس، أو الأحياء، حيث يمكن تحسين ملامحها للمساعدة في تقليل سلوكيات الأطفال الضارة (Heckman et al., 2013; Jennings & Hahn-Fox, 2015)

قد نفهم بشكل أفضل الآليات التي تساهم بها العوامل البيئية فيما يتعلق بالمخاطر الوراثية ومن خلال الظواهر الداخلية / الوسيطة المختلفة، والتي تساعد في تطوير تدخلات مصممة خصيصًا لخصائص الأطفال والآباء والأمهات وقابليتهم للمخاطر المتعلقة بالسلوكيات الاجتماعية الضارة. علاوة على ذلك، أفادت الدراسات الحديثة بـ "تفاعل الجنين مع التدخل"

مما يشير إلى أن العوامل الوراثية قد تكون مفيدة في توقع أي نوع من التدخل سيكون الأكثر فعالية لشخص معين.

ذ

مثال عن الشخصية المضادة للمجتمع

كان جيريمي جونز مضطربًا خلال مراهقته، حيث واجه صعوبات في المدرسة وتم نقله بسبب مشاكل تأديبية متكررة. التحق بالمدرسة لفترة قصيرة قبل أن يتخلى عن الدراسة. تم اعتقاله لأول مرة في يناير 1990 عندما كان عمره 16 عامًا بتهمة ضرب شاب، حيث حاولت والدته الدفاع عنه لكن جيريمي جونز اعتدى عليها أيضًا! كان أحد زملاء جونز في المدرسة الثانوية يدعى جاستن جاد. كان جونز وجاد جيرانًا لبعضهما لفترة من الزمن.

في 5 نوفمبر 1995، تم اتهام جونز بالاغتصاب مرتين، الأولى في 10 يناير 1996، بالإضافة إلى حيازته غير القانونية للمخدرات. ومع ذلك، لم يمنعه ذلك في اليوم التالي من تهديد امرأة بمسدس، مهددًا بإطلاق النار عليها! وبعد هذه الأحداث، قضى بعض الوقت في مركز اعدة التأهيل كونر ديك هوميني في ولاية أوكلاهوما.

في مارس 1997، اعترف بالذنب في ثلاث تهم بالاعتداء وحكم عليه بالسجن مدة خمس سنوات بالإقامة الجبرية. تخوّفت الصديقتان اللتان اعتدى عليهما من الشهادة، وتم تجاهل طلبات المحكمة للحصول على عينات من الحمض النووي. في أكتوبر 2000، تم إصدار مذكرة اعتقال بحقه لكنه باع شاحنته وغادر ولاية أوكلاهوما.

في 18 سبتمبر 2004، وجد أفراد عائلة ليزا نيكولز، البالغة من العمر 45 عامًا من تيرنفيل في ولاية ألاباما، مطلقة وأم لابنتين، ابنتهم ميتة في حمامها. لقد تم الاعتداء عليها، وإطلاق ثلاث رصاصات في رأسها، ثم حرقها.

في ولاية كانساس في باكستر سبرينغز، تم طعن جينيفر جاد، البالغة من العمر 20 عامًا، حتى الموت في منزلها الخاص في 11 مايو 1992. وجد زوجها جاستن جاد، جثتها بعد

عشرة أيام ، كانت مفاتيحها على الأرض في غرفة المعيشة، ووجبتها التي قد حزمتها كانت على المقعد الأمامي لسيارتها. لم يكن هناك دافع ظاهر ولا مشتبه به.

تغيير هويّة جديدة.

في ولاية ميزوري، التقى جونز بوالدة سجين كان قد قضى معه وقتًا في السجن. اشتكى لها من أن النظام القضائي كان يُضطهده. فقررت "إعارة" هويّة ابنها له: جان بول شابمان. عمل بجد بهدف الابتعاد عن ماضيه وكسب بعض المال، كسائق، وموزع، وعامل بناء، وفي أي عمل يجده، من أوكلاهوما إلى أتلانتا. في ألاباما، بحث عن عمل كعامل بناء للمساعدة في إعادة بناء الأضرار التي تسبب بها إعصار إيفان. وجد عملاً لدى بنّاء بيوت متعاطف ومتدين قام بإيوائه. لكن للأسف، لم يكن العيش بحياة منضبطة هو أسلوبه وفي النهاية، وجد نفسه بلا مأوى.

وفي كل مرة كان يتم فيها اعتقاله، كانت بصماته تُرسل إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي، لكن النتائج كانت دائمًا ما تعود إلى اعتقاله بسبب جرائم بسيطة في جورجيا. لم تكن جرائمه الأخرى موجودة في قاعدة البيانات. واتضح أن هذا خطأ مكلف للغاية.

يتم تقديم ثمانين في المائة من بصمات الأصابع إلى قاعدة بيانات في فيرجينيا، وقد تم تقديم بصمات أصابع تشابمان كصور رقمية. وفي بعض الأحيان يمكن أن تتسبب جودة هذه الصور في حدوث مشكلة، مما يؤدي إلى حدوث أخطاء – إما تحديد هوية أخرى، أو كما في هذه الحالة، عدم القدرة على تحديد هوية جان بول تشابمان بشكل صحيح.

دليل في قضية نيكولز

في سبتمبر 2004، عندما عثر أفراد الأسرة على المطلقة ليزا نيكولز ميتة، احتشد المجتمع للمساعدة في حل جريمة القتل.

تذكر أحدهم رؤية سيارة متوقفة خارج منزل ليزا نيكولز وتذكر آخر رقم التسجيل جزئياً.

وسرعان ما قادت الأدلة الشرطة إلى رجل معروف باسم "أوكلاهوما".

أرسل محقق في ميامي صورًا لجونز وبصمات أصابعه وكانت هذه المرة متطابقة. تفاجأ تشابمان، على أقل تقدير، عندما أصدرت السلطات مذكرات اعتقال بحق جيريمي برايان جونز، مما يثبت هويته المزدوجة.

اعترافات في الحجز

أثناء انتظاره للمحاكمة بتهمة الاعتداء وقتل ليزا نيكولز، اعترف جونز بقتل ثماني نساء في منطقة أتلانتا بما في ذلك خمس يمتهن أعمالا لا أخلاقية. وأدلى باعترافات مفصلة للشرطة على انفراد، لكنه أصر على براءته في حضور والدته وصديقته. وقدم تفاصيل الجرائم، بما في ذلك أسماء الضحايا ومواقع الجريمة.

علم المحقّقون أنّ جونز كان مسؤولًا عن مقتل دوريس هاريس (41 عامًا) ودانيال أوكلي (38 عامًا)، اللتين قُتلتا بالرصاص عام 1996، ثم أضرم النار في منزلهما المتنقّل في محاولة للتخلّص من الأدلة.

المحاكمة.

في أثناء المحاكمة، ألقى جونز باللوم على وفاة ليزا نيكولز، لكنه ناقض نفسه عندما ادعى في تصريحات أخرى أنه قتلها وأحرق جثتها أثناء تخديرها.

أدين جونز في 26 أكتوبر 2005 بتهمة الاغتصاب والسطو والاعتداء الجنسي والخطف والقتل. ولم تستغرق هيئة المحلفين سوى خمس وثلاثين دقيقة فقط للحكم على جيريمي براين جونز بالإعدام.

لقد وصفه المدعي العام بأنه "**سيكوباث" كلاسيكي** —أي شخص عدواني، لا يُظهر ندمًا حقيقيًا، ويُعامل الضحايا بلامبالا،crimelibrary.org .

وقد أعلن القاضي تشارلز غراديك، ملتزماً بهذه التوصية، أن جيرمي برايان جونز "خطر على المجتمع المتحضر"، وحكم عليه بالإعدام بالحقنة المميتة.

وحتى الآن، لم يواجه جيرمي براين جونز أي اتهامات في جورجيا بتهمة قتل أماندا غرينويل من مقاطعة دوغلاس في عام 2004. https://www.davidbrocourt.com/biographies/serial-killers/jeremy-bryan-jones/13/

الخصائص النفسية وفق خبراء الطب الشرعي

الخاصية	تقييم جونز
الذكاء وفهم الواقع	حافظ على إدراكه للواقع، يعرف أن أفعاله غير قانونية
القدرة على التخطيط	عالية جدًا: اختبأ 18 عامًا عن الشرطة، أدار حياته بعناية بعد الجريمة
الاندفاعية	مرتفعة في تنفيذ الجرائم، لكنه متحكم جزئيًا عند التخطيط
الندم أو الضمير	ضئيل جدًا، غالبًا يبرر أفعاله عبر معتقداته
السلوك الاجتماعي	قادر على التكيف والاندماج في المجتمع بعد الجريمة

المحور الرابع

بعض الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوك الاجرامي

تمهيد:

يتناول هذا المحور الاضطرابات العصابية والذهانية، مع إبراز الفروقات الجوهرية بينهما، ولا سيّما فيما يتعلّق بالقدرة على التمييز والعلاقة بالواقع، إذ يُعدّ هذا التمييز أحد المحددات الأساسية للمسؤولية الجنائية أثناء المحاكمة. كما يتطرّق المحور إلى الاستجابات التحويلية وما طرأ عليها من تطوّر، مع تقديم قراءة تحليلية لثنائية السادية/المازوخية، وصولًا إلى مناقشة مسألة المسؤولية الجنائية وعلاقتها بالطب العقلي.

1-الاضطرابات العصابية Trouble névrotique

يعتبر العصاب أحد الاضطرابات النفسية من دون قاعده عضويه معروفه، وهو عبارة عن مرض وظيفي يصيب الكثير من الّأشخاص بدرجات متفاوته، وفي هذا السياق سنتحدث عن الاضطرابات العصابية بأعراض سيكولوجيه والتي تسمى العصابات السيكولوجيه أي من دون تطورات عضوية.

هناك العديد من الاعراض التي تميز العصاب قد تكون بسيطه وقد تكون معقده جدا، لكن في اغلب الاحيان نجد مجموعة من المظاهر المشتركه لهذه الاعراض مثل الوهم، الوهن العصبي الوهن النفسي الفوبيا الهستيريا اضطراب المزاج والبارانوية أو وسواس الشك. La paranoia

1-1.الخصائص المشتركه للعصاب

تجمع الخصائص المشتركه للعصاب في أغلب الاحيان بين السلوك الخارجي والتوجهات الداخليه للعصابي، اذ أن حياة العصابي في الغالب تكون مسيرة من طرف قوى مجهولة أو مظلمه لا يكون للمصاب أية قدرة على التحكم فيها. وتتجلى هذه القوى في بعض العقد والأحاسيس بالدونيه والافكار الثابته. يكون العصابي في حالة صراع دائم مع نفسه. يشعر دائما بالقلق ويعيش في مراحل طفولته السابقه او في المراهقه مع التمسك ببعض الأحداث المؤلمة في حياته التي لا يستطيع التخلص منها.

من بين الخصائص المشتركة أيضا للعصاب نجد عدم القدرة على التأقلم مع الواقع أو مع المجتمع، اذ يتصرف المصاب بطريقة فضة او خشنه مثل الهروب من مواقف معينه، الخوف او التهجم على الآخرين.

1-2.الاسباب الاكثر تواترا للعصاب بالنسبه للأطفال

بالنسبة للتحليل النفسي، تعود اسباب العصاب الى الدور الذي تلعبه عقده **اوديب** Œdipe في حياه الطفل وانعكاساتها الممكنة، اذ تعتبر احاسيس الدونيه والذنب النقطة الاساسية للعصاب المستقبلي. يكون العصاب بالنسبة للشخص البالغ ذو طبيعة عاطفية، اذ يعيش صراعا داخليا يجمع بين ثنائية أفكار متناقضة. كما يعتبر القلق من الأعراض الاكثر سيطرة على حياة العصابي وهي ردة الفعل في مواجهة خطر غير موجود يكون في بعض الاحيان عنيف وغير قابل للمقاومة. يعتبر الإحساس بالخطر الداخلي بالنسبة للعصاب أكثر موضوعية من الخطر الخارجي الحقيقي.

على سبيل المثال، بالنسبه للاشخاص المثاليين قد يكون العصاب مصحوبا باضطرابات جسديه تعكس ظاهرة التحويل مثل التشنجات وظهور بقع على الجلد.

وفي هذا السياق سنحاول التطرق لأهم الاضطرابات العصابية الواردة في أدبيات التحليل النفسي، مع تقديمها بصورة تبسيطية بعيدا عن التعقيد والرمزية اللذان يميزان علم نفس الأعماق.

1-3. الوهن L'asthenie

الوهن هو فقدان القوة والاحساس بالتعب الشديد منذ النهوض وصعوبة العمل. يصاحب هذا الوهن أيضا عدم القدرة على التركيز و الإحساس بالفراغ النفسي، كما اننا نجد بعض الاعراض المتشابهة مع أعراض الانهيارات العصبيه. تعود أسباب الوهن الى العمل المفرط، الوسط الاجتماعي والعائلي المتعب وبعض المشاكل الاخرى المرتبطه بالتغذيه.

1-4. الوهن العصبي La neurasthénie

يُعَدّ الوهن العصبي حالةً من الوهن المزمن أو انهيارًا شبه كلي في الجهاز العصبي، حيث يختلّ عمل الجهاز العصبي اللاإرادي ويفقد الشخص توازنه وانسجامه العصبي. ويكون ذلك مصحوبًا بمجموعة من ردود الفعل غير المتوقعة والمتناقضة وغير المنطقية، والتي يصعب قياسها أو ضبطها. كما تتضخم الانفعالات استجابةً لأسباب بسيطة، وينتقل المصاب من مرحلة المرح إلى مرحلة عميقة من تثبيط العزيمة دون إدراك واضح أو إشارة مسبقة لهذا التحول.

بالنسبة للاعراض يكون الوهن العصبي مصحوبا بتعب شديد، مع عدم القدره على القيام بأعمال تتطلب قوة جسدية، تعب على المستوى العصبي والعقلي والعضلي يحس المصاب بالوهن العصبي بالقلق خاصه عند النهوض في الصباح ويتحسن عند الظهيرة.

1-5.الوهن العقلي La psychasthénie

يرتبط الوهن العقلي خاصه بتعاقب الافكار اذ أن الشخص المصاب ينتابه زخم كبير من الافكار لا يستطيع السيطره عليها ولا يستطيع تجميعها او استخلاص اي شيء منها، لا يستطيع المصاب بالوهن العقلي القيام بعمليات عقليه بسهوله.

ويكون الاستحواذ متكرر جدا، ويساعد الوضع الذهني للطفيليات النفسية على الاستقرار بحرية، اذ يشعر المصاب بالوهن العقلي غالبا على أنه مدفوع للقيام بعمل لاّأخلاقي، الا أنه يملك القدرة على مقاومة اندفاعاته(إسكندر ،بثون،1988،ص.23) عكس ما سنلاحظه بالنسبة للاضطرابات الذهانية.

1-6.عصاب القلق أو الضيق النفسي[1] L'Angoisse

يقع اضطراب القلق من وجهة نظر علم النفس المرضي في قلب الاضطراب النفسي، فالقلق هو محور العصاب، والمرض الجوهري في الاضطرابات النفسية، بل وفي أمراض عضوية شتى، وهو أكثر فئات العصاب شيوعا اذ يكون 30% الى 40% من الاضطرابات العصابية. ويجمع العلماء على أن القلق هو المفهوم المركزي في علم الامراض النفسية.(غانم،2006،ص.33)

يُعَدّ الضيق النفسي من أبرز أمراض العصر، وقد يتحول هذا الإحساس إلى عصاب إذا تجاوز حدّه الطبيعي، إذ يصبح حينها حالةً مدمّرة للفرد. ويكمن الفرق بين الخوف والقلق في الواقع والخيال؛ فالخوف هو استجابة جسدية وعقلية تجاه خطر حقيقي، أما القلق فهو استجابة تجاه خطر متخيَّل أو غير واقعي. وغالبًا ما يكون رد الفعل مصحوبًا بأعراض جسدية مثل التعرّق، وخفقان القلب، والشعور بالدوار أو الاختناق، وأحيانًا العجز عن المشي. وقد يتخذ الضيق النفسي صورًا متعددة، منها الارتباك الذهني المصحوب بأفكار سلبية، أو القلق المستمر، أو نوبات من الذعر دون سبب واضح.

1-7. الاستحواذ أو الوسواس L'obsession

الاستحواذ هو احساس او فكرة مبالغ فيها تتجلى في العقل بطريقة متكرره قوية ومؤلمة وتترك اثرا كبيرا على الانسان. يحدد الاستحواذ احيانا افعال الفرد وبما أن المريض يشعر بعبثية استحواذه فانه يدخل في صراع مع ذاته. (Daco,1960,245-261) يعتبر الاستحواذ مرض شائع يصاحب الكثير من الاضطرابات العصابية والذهانية ويترتب عليه ما يعرف بعصاب الوسواس القهري، اذ يتحول في مراحله المتقدمة جدا الى سلوك الوسواس القهري

[1] ترجمة Angoisse الى الضيق النفسي أو القلق أو القلق الشديد ليست دقيقة، لأن هذا الاضطراب عبارة عن ردة فعل فيزيولوجية وجسدية تجاه عدوان خارجي غير حقيقي.

TOCحيث لا يستطيع المصاب السيطرة على سلوكاته كأن مثلا يقوم الشخص بغسل يديه عشرات المرات أو يتحقق من غلق الأبواب والنوافذ عدة مرات...الخ.

1-7-1. عصاب الوسواس القهري La névrose obsissionelle

يعتبر الوسواس القهري صليب الطبيب النفسي. فبينما استطاع **فرويد** ابتكار القاعدة الأساسية للهستيريا، إلا أنه لم يتركنا براحة مع الوسواس القهري. فقد اعترف بذلك بنفسه في عام 1926: أن الشخص المصاب بالوسواس القهري يواجه صعوبة خاصة في اتباع القاعدة الأساسية للتحليل. بدلاً من التداعي الحر، يكون الأمر عادة "الصمت" أو "التكرار" لذلك، اضطر **لاكان** إلى ابتكار جلسات علاجية متغيرة المدة، كشرط للعمل التحليلي. فالحياد الثابت يخدم بشكل ملحوظ الشخص المصاب بالوسواس القهري، وهو ما يعيق العملية العلاجية.

ان الابتكار الذي قدمه فرويد في مجال التصنيف الطبي كان من خلال وصف الوسواس القهري بناءً على أعراض أفكار أو أفعال قهرية. بنى فرويد هذا النوع الجديد من العصاب مشابهة مع آلية الهستيريا، من خلال مرحلتين: – المرحلة الأولى، من الناحية السببية هو حدث اثارة جنسية مبكرة في الطفولة (في البداية افترض أنها ناجمة عن الكبار، ثم بعد عام 1897، افترض أنها طبيعية). إذا تم تحمل هذه الصدمة بشكل سلبي في الهستيريا، فإنه تم التفاعل معها بايجابية في عصاب الوسواس القهري. – المرحلة الثانية:– العواطف التي تنشأ عن ذلك بسبب عدم التوافق مع الأنا، تنفصل عن تمثلاتها الأولية لتقوم بعملية "ربط زائف" مع تمثلات جديدة عن طريق التحليل. هذه الاستبدالات تعتبر ميكانزما دفاعيا، اذ لا يوجد قمع دون عودة لما تم قمعه، ليس عن طريق التحويل الجسدي كما في الهستيريا، ولكن عن طريق التحويل إلى تمثلات أخرى أكثر توافقًا مع الأنا. هذه هي الوساوس بالمعنى

الحقيقي كتكوينات للتوافق: الندم على الذات، تثبيط التصرف، عزل تمثل معين، إلغاء للأحداث الماضية، وشعائر خاصة. (Julien,2008,pp127-128)

1-8. الرهاب Phobie

الرهاب هو وجه آخر للوسواس ويتميز بالخوف من فكرة، من شيء أو من وضعية معينة ويمكن أن نجد مجموعه كبيره من الرهابات مثل: رهاب الاماكن المغلقه، رهاب الاماكن المفتوحة والاماكن العالية او الرهاب من بعض الحيوانات وحتى التمارض أو فوبيا المرض، وهي قلق مزمنا يصيب الفرد يجعله يهتم بصحته بطريقة مرضية اذ تصبح كل افكاره موجهه نحو عمل الاعضاء وما قد يصيبها من امراض.

1-9. المزاج الدوري La cyclothymie

هو نوع من العصاب يصيب مزاج الفرد، حيث يتأرجح باستمرار بين حالتين متناقضتين. فقد يكون في إحدى المراحل مفعمًا بالسعادة والمرح، نشيطًا في عمله، شديد الاهتمام بكل ما يحيط به، متدفق الحيوية، طليق اللسان، ومنفتح الفكر على مختلف الأفكار. ثم، وبصورة مفاجئة، يغوص في حالة من الانهيار العصبي، فتختفي مظاهر الفرح والسعادة كليًا. ويصف بعضهم هذه الحالة بأنها أشبه بسبات عميق، يتوقف فيه النشاط، ويميل المصاب إلى العزلة، مع شعور طاغٍ بالضعف والعجز عن إنجاز الأمور المفيدة.

1-10. هوس الشك او الاضطهاد La paranoia

يعتبر هوس الشك او الاضطهاد احد العصابات المتعددة الاعراض قد تصل حتى الى الذهان والهلوسات. ويعبر عن عصاب الهوس او الاضطهاد في الاوساط الشعبيه بجنون العظمه او الجنون الاضطهادي. بطبيعه الحال يجب ان نميز هنا بين حالة الاتصال بالواقع من عدمه. البرانويا او الهوس قبل كل شيء هي تشويه للطباع، اذ يحس المصاب بالهوس

بأنه شخص جد مهم وانه متواضع للجميع، يعتقد بانه ذكي وكامل ويفرض على المجتمع ان يحترمه احترام الكبار او قد يتميز بأنانية كبيره تكون عادة مخفية وراء الكرم والطيبة والعدالة. دائما ما يحس المصاب بانه ضعيف مقارنه بالاخرين.(Daco,1960,267-271)

-الاضطرابات الانفصالية [التحويلية]

تشترك الاضطرابات الانفصالية المختلفة في فقدان جزئي أو كامل لوظائف التكامل الطبيعية للذكريات، والوعي بالهوية، والإحساس الفوري، والتحكم في الحركات الجسدية. تميل جميع أنواع الاضطرابات الانفصالية إلى الاختفاء بعد بضعة أسابيع أو أشهر، خاصة عندما يكون ظهورها مرتبطًا بحدث مؤلم. يمكن أيضًا أن تتطور الحالة نحو اضطرابات أكثر خطورة، خاصة الشلل والتخدير، عندما يكون ظهور الاضطراب مرتبطًا بمشاكل أو صعوبات لا يمكن حلها.

في الماضي، كانت هذه الاضطرابات تُصنف كأنواع مختلفة من "الهستيريا التحويلية". يعتبرها الأخصائيين على أنها حالة نفسية، تظهر عندما تكون مرتبطة بأحداث مؤلمة، أو مشاكل لا يمكن حلها وغير قابلة للتحمل، أو نتيجة لعلاقات صعبة بين الأفراد. غالبًا ما تعكس الأعراض الفكرة التي يحملها المريض عن الصورة السريرية للمرض الجسدي. لا يمكن للفحص الطبي والفحوصات الإضافية أن تكشف عن اضطراب جسدي معروف، خاصة العصبي. علاوة على ذلك، هناك أدلة تشير إلى أن فقدان وظيفة ما في هذا الاضطراب هو تعبير عن صراع أو حاجة نفسية. يمكن أن تظهر الأعراض في ارتباط وثيق مع عامل ضغط نفسي وغالبًا ما تحدث فجأة. يتم تضمين هنا فقط الاضطرابات التي تنطوي إما على اضطراب في وظائف الجسم التي تكون عادة تحت سيطرة الإرادة، أو على فقدان الإحساس.

يتم تصنيف الاضطرابات التي تنطوي على ظواهر مؤلمة أو إحساس فيزيائي آخر معقد يشمل الجهاز العصبي الذاتي ضمن الاضطرابات الجسديةCIM-10.(F45.0)

-الهستيريا

الهستيريا تربك أولاً بأعراضها المُنسوبة إليها. فهي في الواقع نمط من التناقض: الضحك والبكاء، الاكتئاب والنشوة، البرودة والحرارة، الحساسية المفرطة والخدر، فقدان الكلام والثرثرة، فقدان الشهية والشره، التشنجات والشلل، الصرع والتقلص، وما إلى ذلك. ولكن ماذا عن سببها؟ ما هو الجواب من الناحية السببية؟ من الملفت للنظر أن السبب يكون من نوع أنها قدرة داخلية وخارجية في الوقت نفسه، تصبح حرة وتقلب بلا ارادة حواسنا وأفكارنا وأفعالنا. وقد أُطلقت على هذه القوة أسماء مختلفة عبر القرون، وتاريخ الهستيريا هو تاريخ لترادف الألقاب.

كان الإغريق القدماء يعتقدون فعلاً أن استعراضات النساء الصاخبة والمفرطة ناتجة عن الاضطراب الداخلي في رحمهن. بالإضافة إلى صفات الشخصية التي وصفناها، كان الأطباء في كثير من الأحيان يلاحظون لدى بعض المريضات نفسهن اضطرابات متنوعة ومذهلة: شلل، تقلصات، آلام بطنية، نوبات تشبه الصرع، فقدان الذاكرة. كانت جميع هذه الأعراض تختلف عن تلك الملاحظة في الأمراض الجسدية، حيث كانت تحدث وتنقطع بطريقة متقطعة، ويمكن أن تثور أو تختفي نتيجة لأحداث ملحوظة، ولا تتوافق مع أي مرض جسدي قابل للاكتشاف.

منذ عام 1980، اختفى مصطلح "الشخصية الهستيرية" من الدليل التشخيصي والاحصائي للطب العقلي DSM-III . كان التقديم المسرحي والمبالغ فيه لعواطفهم سمة ثابتة بما يكفي من الشخصيات المسماة "هستيرية". لذا تم اختيار مصطلح "هيستري"، من اللاتينية

histrio، وهو الممثل المسرحي الذي كان يقوم بتقديم المسرحيات على أصوات الأنابيب. علاوة على ذلك، تم تجميع الأعراض البارزة للهستيريا (الشلل، الاغماء، فقدان الذاكرة...) تحت تسميات تشخيصية أخرى: اضطرابات التجسد، الاضطرابات الفصامية، اضطرابات التحويل.

أسباب تخلي الاستخدام عن مصطلح "هيستيريا"

1. تقدم الطب سمح بالتأكيد على أن سلوكيات واضطرابات الأشخاص المسمين "هيستيريين" ليس لها علاقة بالرحم.
2. دليل إضافي: بعض الرجال كانوا يعانون من أعراض متطابقة.
3. بالإضافة إلى ذلك، كان العديد من الأشخاص ذوي الشخصية الهيستيرية لا يعانون أبدًا من أعراض هيستيرية مثيرة للدهشة مثل الشلل والاغماء، ومن ناحية أخرى، الأشخاص الذين يعانون من هذه الأعراض لم يكونوا دائمًا من الشخصيات الهستيرية.
4. أصبح مصطلح "هيستيريا" مهينًا، وكان يستخدم في كثير من الأحيان من قبل الأطباء النفسيين الذكور للإشارة إلى المرضى اللواتي لم يتمكنوا من مساعدتهن. وأصبح أيضًا سبابًا في اللغة اليومية.

إذا كان الشخص يرغب في قراءة كل ما فكروا فيه أطباء النفس والأطباء النفسيين حول الهستيريا منذ القرن الماضي، فعليه أن يتحلى بالشجاعة: فسنوات طويلة لن تكفي. يبدو أن رغبة الهستيريين السرية في جذب الانتباه إليهم قد تحققت تمامًا! بنى فرويد أسس نظريته استنادًا إلى ملاحظاته الخاصة على مرضى هستيريين من الطبقة الراقية في فيينا، مما يطرح علينا سؤالين "مهمين": هل تسمح هذه النظرية، التي صممت لشرح الهستيريا لدى

بعض الفتيات الفينيات، بشرح جميع أشكال الاضطرابات النفسية الأخرى؟ وهل كان من الحكمة أن يبني فرويد نظريته استنادًا إلى حديث وأعراض مرضى معروفين برغبتهم في جذب انتباه ودعم طبيبهم، حتى بإخباره بما يرغب في سماعه؟ فرويد نفسه تساءل كثيرًا. حيث روت العديد من المرضى أنهن تعرضن لاعتداءات جنسية واختلاس أثناء طفولتهن، فرأى في ذلك في البداية أصل مرضهن. ثم تساءل ما إذا كانت هذه الروايات وهمية، خيالات نسائية تتناسب مع صراعات أوديبية مكبوتة، أساسا رئيسيا لنظريته. في الواقع، بناءً على ما نعرفه اليوم عن تكرار الاعتداء الجنسي وسوء المعاملة الجنسية للأطفال، يعتقد العديد من الباحثين أن مرضى فرويد تعرضن فعلا للاعتداء. وقد اتهمت النساء الأمريكيات فرويد بكونه مسؤولًا بشكل غير مباشر عن الموقف المتشكك لفترة طويلة للأطباء النفسيين تجاه روايات اعتداءات الاطباء على مرضاهن، نظرًا لأن التحليل النفسي علمهم أنها "اختراعات". (Lelord, André,1996,pp.89-92)

2-الاضطرابات الذهانية Trouble psychotique

2-1.مفهوم اضطراب العقل

هناك العديد من المصطلحات المختلفة التي يمكننا استخدامها لوصف شخص مضرب عقليا، يقول الأطباء النفسيون وعلماء النفس السريريون أن **جون** يعاني من اضطراب عقلي أو مرض عقلي. في سياق النظام القانوني، قد يحاول محامي الدفاع، الدفاع عن **جون** بأنه مجنون أو عاقل غير كامل أو لديه قدرات متناقصة. وبشكل عام، هناك العديد من المصطلحات – التي تحمل غالباً دلالات سلبية – التي يمكن تطبيقها بشكل شعبي، مثل "مجنون" أو "معتوه". وعادةً ما يكون الأشخاص العاملون في النظام القانوني قلقين بشكل أكبر بشأن قضايا المسؤولية الجنائية، أو ما إذا كان بإمكان اعتبار الفرد مسؤولاً بشكل معقول عن أفعاله الجنائية. وهذه الاعتبارات بالطبع ذات أهمية كبيرة لعلماء النفس

الشرعيين. في هذا السياق، سنركز ومع ذلك على مفهوم اضطراب العقل من منظور سريري، حيث نبحث في كيف يمكن أن تجعل خصائص اضطرابات العقل بعض الأفراد أكثر احتمالاً للانخراط في الجريمة. إذاً، ماذا نقصد تحديداً بمفهوم اضطراب العقل؟ هذا السؤال، ربما ليس مفاجئاً، لقد أثار الكثير من الجدل الحاد على مر السنين. يقول البعض أنه لا يوجد شيء اسمه "اضطراب عقلي" – إنه مجرد تسمية تطبق على الأفراد الذين ينحرفون عن المعايير الاجتماعية. وقد قام البعض الآخر بتعريف اضطراب العقل بالانحراف عن المعايير الإحصائية، أو ببساطة بالنسبة لما يعالجه المحترفون في مجال الصحة العقلية (ويكفيلد، 1992). يمكن تجاهل هذه النقاشات إلى حد كبير وقبول تعريف اضطراب العقل الذي يتم تقديمه في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية – الإصدار الخامس.

الاضطراب العقلي Le trouble mentale

هو متلازمة تتميز بوجود اضطراب سريري ملحوظ في عملية التفكير لدى الفرد، وتنظيم العواطف، أو السلوك الذي يعكس اضطرابا في العمليات النفسية أو البيولوجية أو التنموية الكامنة وراء الوظائف العقلية. وعادة ما يرتبط الاضطراب العقلي بمستوى كبير من الضيق أو الإعاقة في الأنشطة الاجتماعية أو المهنية أو الأنشطة الهامة الأخرى. والاستجابة المتوقعة أو المقبولة ثقافيا لمواجهة عامل الضغط المشترك أو الخسارة، مثل وفاة أحد الأحباء. والسلوك الاجتماعي المنحرف (مثل السياسي أو الديني أو الجنسي) والصراعات التي تكون في المقام الأول بين الفرد والمجتمع، لا يُعتَبَر انحرافا أو صراعا نفسيا مرضيا ما لم يكن الانحراف أو الصراع ناتجًا عن اضطراب لدى الفرد. (American Psychiatric Association, 2013)

هناك أربعة عناصر رئيسية لهذا التعريف: 1 الاضطراب النفسي (هناك انهيار في الإدراك والعاطفة و/أو السلوك). 2 الضيق الشخصي (مرتبط بالضيق الفردي أو التأثير). 3 السلوك غير النمطي أو غير المتوقع ثقافيًا (إنه شيء يكمن عادة خارج ما هو متوقع داخل السياق الثقافي ذي الصلة). 4 ليس مجرد تحول اجتماعي (أي ليس مجرد نتيجة للتحول الاجتماعي أو الصراع مع المجتمع(Durrant,2018,pp79-80)

وفي هذا السياق سنستعرض أهم الذهانات الوظيفية والعضوية وتداعياتها على الفرد والمجتمع.

-**الذهان الوظيفي:** يشير الى العديد من مظاهر الاظطراب والخلل التي تطرأ على الوظائف النفسية ومن أمثلته ما يلي:

2-1. التشوش الذهني La confusion mentale

التشوش الذهني لا يعتبر تخلف ذهنيا بالمعنى الواسع للكلمه وانما هو نوع من الوهن المبالغ فيه، اذ تصبح كل العمليات العقليه بطيئه الى درجه كبيره، يحس المريض بحالة من الذهول الذهني و حالة من التشوش لا يستطيع من خلالها توجيه أفكاره. في بعض الاحيان يخلط المريض بين الوقت والأيام والسنوات اذ يعتقد الفرد بأنه يعيش في زمن ماضي كما يعتقد بأنه في بداية زواجه أو في بداية حياته المهنية. لا يمكن للمريض الحكم على الأشياء. في بعض الاحيان قد يصل هذا التشوش الذهني الى الذهول الكامل ويسمى بالانشداه الخبلي.

2-2. الفصام Schizophrenie

يعتبر الفصام من أخطر الامراض العقلية على الاطلاق اذ يتميز بفقدان الاتصال الكلي مع الواقع، ويعرف في الطب النفسي على انه حالة عقلية غير سوية تصيب الكائنات

البشرية، وتحدث تغييرا عميقا في أنماط تفكيرهم وسلوكهم، بحيث تختلط لديهم الحقيقة بالوهم وتؤدى الى تبني أساليب حياتية لا تتوافق مع الواقع.

يعد الطبيب البلجيكي بينيديكت **موريل** أول من وصف الفصام رسميا حيث أطلق عليه اسم **الخرف المبكر** عام 1852.

أما الطبيب النفسي السويسري يوجين **بلولير** فهو من أطلق على هذا الاضطراب اسم **الفصام أو العقل المشطور** وذلك عام 1911. وكان يرى بضرورة تشخيص هذا المرض بناء على مجموعة من الاضطرابات الأساسية وهي:

اضطرابات جوهرية

-اضطراب التفكير.

-اضطراب الانفعال.

-الاضطراب الذاتي أو الشعور بالذات.

-اضطراب الإرادة.

-ثنائية الوجدان.

-الذاتوية(الانكفاء بالذات دون الاخذ بالاعتبار الآخر).

أعراض اظافية

-اضطراب الادراك الحسي.

-اضطراب الذاكرة.

-تغيير نمط الكلام والكتابة.

-وجود العديد من الأعراض الجسمية.

-وجود العديد من الأعراض الكاتاتونية. (غانم،2006،صص.136-137)

2-2.1الفصام والمراهقه

يبدأ الفصام عاده في مرحله المراهقه بعد سن البلوغ و تظهر الأعراض عندما يدخل الطفل أو المراهق في مرحله من الحلم المطول، تظهر عليه بعض الحركات او المواقف الغريبة في بعض الاحيان يكون غائبا يضحك بغرابة بدون مبرر ويكون نزاعا للعزلة، لا يظهر الفرد أية أهمية تجاه أقرانه ولا يبدي اي اهتمام او ارتباط بأي شيء ولا حتى لمجرد الفضول. تظهر الاعراض الحقيقية بعد تطور المرض مثل الذهول الحركي، الافراط في الحركة، اللامبالاة تجاه الحياة الاجتماعيه، كما يظهر الفصامي نوبات من الغضب غير المبر واحيانا أخرى قطيعة مفاجئة مع الأصدقاء.

3- الهوس الاكتئابي أو ثنائي القطب La psychose maniaco-depressive

لقد لاحظنا في المرحلة السابقه عصاب تقلب المزاج والذي يتميز بمرحلتين: مرحلة من السعاده والحماس وسرعة البداهة ومرحلة الانهيار والحزن، هذا العصاب قد يتحول فيما بعد الى ذهان او ما يعرف بذهان ثنائي القطب.

يتميز ثنائي القطب بمرحلتين ايضا مرحلة الهوس ومرحلة الاكتئاب، ويجب علينا ان نميز هنا بين الهوس في علم النفس والهوس بالنسبه للطب العقلي الذي يعتبر حالات او عادات جارفة من الهيجان والحركية.

يفترض أحيانًا وجود صلة بين جينات فصام الشخصية وجينات اضطراب المزاج ثنائي القطب. يقترح **سلاتر** أن وجود الجين المتعلق بالاضطراب المزاجي ثنائي القطب يمنح الجين المتعلق بفصام الشخصية نوعًا من السيطرة، مما يسمح بظهوره بحالة مختلطة. بينما كان **رودين** يعتقد على العكس أن الفصام الشخصي يساعد في تنشيط الجين المتعلق بإضطراب المزاج ثنائي القطب. يمكن العثور في الحقيقة على أمثلة متعددة في عيادات الاضطرابات العقلية غير التقليدية، التي لا يُعرف تبعيتها لأي نوع من الاضطرابات النفسية. يُلاحظ حدوث اضطرابات عقلية دورية، تظهر فيها سمات فصامية. وهذا ما يحدث في عائلات المصابين بفصام الشخصية. وتوجد أيضًا حالات فصام دورية مثل اضطراب المزاج ثنائي القطب. وهذا ما يحدث في العائلات التي تعاني من اضطراب المزاج ثنائي القطب (ويترمان وويلدرموث). ومع ذلك، تعتبر هذه الملاحظات صعبة التفسير ولا يمكن الاستنتاج منها بخصوص القوانين الجينية(Ey, Bernard et Brisset,1989, p.684) .

3-1. مرحله الهوس

تتميّز مرحلة الهوس بحالة من الفرح المفرط وغير المحدود، المصحوب بغياب القيود الأخلاقية. يكون المريض في حالة من الهيجان والنشوة، ويُعبّر عن سعادته من خلال الضحك والغناء والرقص واللعب. كما تتسم أفكاره بالتشتّت وعدم الترابط، ويكون مظهره الخارجي لافتًا ومبالغًا فيه، كارتداء ملابس متعددة الألوان بشكل غير مألوف. وتظهر على وجهه علامات السعادة المفرطة، ولا يستطيع البقاء في مكان واحد؛ إذ يتحرك باستمرار، يدور ويلتف، ويتلاعب بالكلمات، ويسخر من الجميع ومن كل شيء، وقد يلجأ إلى الكذب أو الاتهام أو الاستهزاء، وغيرها من السلوكيات المشابهة.

3-2. مرحله الاكتئاب

بعد حالة الزخم من المرح والحيوية والسعادة، تظهر مرحلة الاكتئاب، حيث يسقط المريض في حالة من الميلانخوليا (السوداوية). ويكون مثقلًا بمشاعر الندم، كثير الشكوى والألم النفسي، وقد يعتقد أنه شخص مذنب لا يستحق تعاطف الآخرين. وتراوده أفكار سلبية متعددة، مثل رفض الطعام والشعور بالاضطهاد، كأن يعتقد مثلًا أن هناك من يسعى إلى قتله أو تعذيبه. كما قد يعاني من الارتجاف والبكاء، وتنتابه أفكار انتحارية. وتتميّز هذه المرحلة بوجود هذيان اضطهادي سوداوي، يتمثل في تشاؤم مفرط قد يكون مصحوبًا أحيانًا بهلاوس.

4.جنون العظمه La mégalomanie

تعتبر هذه التسميه عملية اكثر منها علميه لأن الاضطراب في الحقيقة يعكس مجموعة من الاعراض مثل الهذيان الاضطهادي، هذا الهذيان هو عبارة عن بارانويا(وسواس الشك) مبالغ فيه اذ يعتقد المريض بان لديه قوى خارقة او جمال لا يضاهى وينحدر من سلالة أو من عائله راقية يتحكم في ملايين الاشخاص كما لو كان شخص خارق او نبي او مخترع زمانه. هذا الاضطراب العقلي يعتبر جد مألوف لدى الأطباء.

أما بالنسبه للهذيان الاضطهادي فيرتبط بجنون العظمه اذا كان الفرد يعتقد بأنه يعلم كل شيء وبانه شخص قوي. تنتابه افكار بانه مهدد أو بانه مضطهد من طرف الجميع، هناك من يريد قتله أو سرقة افكاره او امواله مع المبالغة في هذه الأفكار، اذ تكون مصحوبة بوساوس، يسمع من خلالها المريض اصوات تسبه او تهدده او هناك من يستحوذ على افكاره ويوجهها و تزداد حدة المرض مع زياده القلق.(Daco,1960,pp.273-282)

جول يوضح العصاب وما يقابله من ذهان محتمل

العصاب	الذهان
الوهن العصبي neurasthénie	التخليط أو التشوش العقلي

الوهن النفسي psychasthénie	الفصام
الوسواس القهري، الفوبيا، اضطراب المزاج.	ذهان الهوس الاكتئابي
عصاب الريبة والشك paranoia	جنون العظمة

-الذهان العضوي

يتميز بوجود إصابات أو تلف عضوي في المراكز العصبية العليا(المخ) ومن أبرز أمثلته الشلل الجنوني الذي ينشأ من الإصابة بالزهري، كما أن هناك عدة ذهانات عضوية نذكر منها:

-التأخر العقلي Oligophrénie

وهي عباره عن تشوهات تطورية للعمليات العقليه تحدث منذ الولاده او في السنوات الاولى من حياة الشخص وهي عباره عن قصور شبه كلي للتطور العقلي. ويتميز هذا المرض العقلي بتأثيره على القدرات العقلية للفرد من ضعف ذاكرة ذكاء، كما اننا لا نستطيع ان نحصل على تطور عقلي من خلال طرق طبية او بيداغوجية خاصة. يشمل هذا المرض العقلي بدرجاته المتفاوته الغباء والتخلف الذهني ومرض لونج او متلازمه داون.

الزهري العصبي Le neurosyphilis

يتميز هذا المرض باصابة الاوعية المخية والغشاء المخي والسحايا، ويكون مصحوبا باضطرابات عصبيه تكون عادة مصحوبة باعراض عضويه مثل الصداع النصفي القيء ضعف النظر وضعف السمع.

-ذهان ما قبل الشيخوخه أو خرف ما قبل الشيخوخه La psychose présénile

و يتميز هذا الذهان او يتجلى في شكل من اشكال الاكتئاب، الهذيان، البارانويا ومتلازمه الجمود والتشوش الذهني وهي عباره عن الحالات المتقدمه من الخرف بالنسبة للجدول

الاكلينيكي. نجد سيطرة الاكتئاب مع القلق وافكار الهذيان والاحساس بالذنب و بعض الافكار الاضطهاديه بالاضافه الى حالات من نوبات الهيجان الحركي.

-خرف الشيخوخه او ذهان الشيخوخه Psychose sénile

نجده عادة بين 70 -80 سنه وحتى في سن متقدم وهو عبارة عن خرف تطوري نتيجة تخرب الخلايا العصبية او انتفاخ في مناطق معينة من المخ حيث تتميز هذه المرحلة بفقدان الاهتمام أو اضمحلاله، تكون مصحوبة بنقص نشاط الذكاء، تضعف عملية التأقلم العقلي وتفقد مستوياتها، يصبح الشخص أكثر سلبية لا مبالي بما يحيط به ويفقد الكثير من ذكرياته. تضمحل الذاكره ايضا خاصة الذاكرة الآنية. يعاني المريض من القدرة على تذكر التواريخ وتسلسل الافكار والاحداث وعمليات الذاكره(Korkina,Tsivilko,Kossova,1980).

3-السادية والمازوخية

حسب القاموس الطبي Larousse medical تنتج ثنائية السادية/المازوخية عندما تؤدي العلاقة إلى التوجه المستمر لأحد الأشخاص نحو التعبير عن الرغبة في الخضوع (المازوخية) وإشباعها من قِبل الآخر من خلال الهيمنة (السادية). على الرغم من كونها شكلًا للتبادل العاطفي الراجع، إلا أن أطباء النفس لا يرون فائدة كبيرة في محاولة علاج حالة يجد فيها الثنائي توازنه بغية "الطبيعيَّة."

لكن السادية المرضية (العدوان، الاغتصاب، إلخ) تعتبر اضطرابًا خطيرًا في الشخصية. فبعض الأشخاص المصابين، الذين تكون بنيتهم العقلية من النوع العصابي، قد يتحسنون. بينما البعض الآخر، الذين يعانون من نقص في النضج العاطفي، يكونون غير قادرين على السيطرة على دوافعهم العدوانية، وبذلك يحتاجون إلى متابعة طبية منتظمة.

أما بالنسبة للتحليل النفسي فالبالغين الذين يعانون من اضطرابات السادومازوخية يعتقدون بشكل وهمي، ويمتلكون الاعتقاد الثابت بأنهم يستطيعون حقًا تدمير شخص ما وإجباره على الشعور بما يريدون. ان هذه السمة الثابتة تنبع من التأكيد الخارجي على الفكرة بأن الغضب له فعلاً قوة تدميرية وقد يحطم، يؤذي أو يصل الى درجة القتل.

تُسهم ردود الفعل الخارجية على الغضب والسلوكيات المدمرة خلال فترة الطفولة في تطوير علاقة سادومازوخية لاحقة، حيث تعتبر القدرة الكلية على السيطرة جزءًا أساسيًا من الاقتصاد النرجسي للطفل؛ حيث يعتمد تقديره لنفسه بالفعل على قدرته على إثبات أنه لديه القدرة على التحكم في الآخر.(Novick, & Kelly,2002,p12) .

ولقد ذكر **فرويد** في أعماله أن الطفل من الممكن أن يدمر العالم لو أتيحت له القوة الكافية لذلك. وكان يعني بذلك أن الطفل ذاتي تماما مغلف بمشاعره الخاصة الذاتية وبذلك لا يرى ويتفهم أي وجهة نظر أخرى.

يقول كولين **ولسن** أن **ويلز** قد انتهى من كتابة قصة مثيرة أسماها "لاعب الكروكيه" كانت تختلف بشكل مذهل عن كل أعماله السابقة. اتضح من ذلك العمل أن ويلز قد وصل الى درجة متقدمة من الوعي والادراك لقدرة الانسان الكامنة على القسوة المحضة المجردة، وأن لذى البشر قدر كبير من السادية والتلذذ بتعذيب الآخرين.(ولسن،2001:8-10)

بالاظافة الى تحليلات فرويد اكتشفت الدراسة الشهيرة **لكرافت** أن السادية /المازوخية كثنائية جنسية مرضية جد منتشرة. واعتبر كرافت السادية أمر مفروغ منه بالنسبة للأشخاص الذين يسعون الى تحقيق الرغبة الجنسية بالنسبة للأدوار الإيجابية للسيطرة وايذاء الآخرين، ويسمى عكسه المكمل بالمازوخية، ويشير هذا المصطلح الى الخضوع والاذلال.

أما المقاربات والاتجهات الحديثة فقد اهتمت كثيرا بالبناء الاجتماعي للظاهرة أكثر من فهم أسبابها وآثارها النفسية.**https://psy-92.net/2021/03/14/sadomasochisme/**

الطابع التدميري للسادية:

هناك مفهومان تقليديان لطبيعة السادية يستخدمان منفصلين احيانا ومجتمعين احيانا اخرى ويعبر عن احد المفهومين بمصطلح الشبق الألمي "الالغو لاغنيا" Algolagnia اذ تتكون الكلمه من Algos بمعنى الالم و Lagnia ومعناها الشبق، وقد ميز فون **شرينك** في بداية القرن العشرين الالغولاغنيا الايجابيه الايلامية (السادية) من الألغولاغنيا السلبية التّألمية(المازوخية).

يرى اتجاهٌ آخر أن السادية في جوهرها ظاهرة ذات طابع جنسي، ووفقًا لمصطلحات فرويد فهي تعبير عن دافع الليبيدو في مراحله المبكرة. ويُفسَّر أن الرغبات السادية المرتبطة بالسلوكيات الجنسية تنشأ بشكل لا واعٍ. وقد بذل التحليل النفسي جهدًا كبيرًا لإثبات أن الليبيدو هو القوة المحرّكة للسلوك القاسي، حتى في الحالات التي لا يظهر فيها أي دافع جنسي واضح للعين المجردة. ولا خلاف على أن السادية الجنسية والمازوخية تُعدّان من أشهر الانحرافات وأكثرها وضوحًا، إذ تمثلان شرطًا أساسيًا للإثارة لدى الأشخاص المصابين بهذين النمطين.

ولقد كان الانحرافين السادي والمازوخي الجنسيان موجودان بكثره بين الرجال ويبدو ان السادية الجنسية أكثر انتشارا بين الرجال منها بين النساء وعلى الاقل في الثقافه الغربية وان تكون المازوخيه اكثر وقوعا بين النساء ومن الصعب التحقق منه لانعدام المعلومات الموثوق بها حول الموضوع.

لا تشكل الساديه والمازوخيه بوصفهما انحرافين جنسيين الا شيء طفيفا من كمية السادية الهائلة التي ترتبط بالسلوك غير الجنسي، فالسلوك الهادف الى الايلام الجسدي الذي يصل الى حد الموت يكون موضوعه كائن لا حول ولا قوه سواء كان انسان ام حيوان وقد كان اسرى الحرب والعبيد والاعداء المهزومون والاطفال والمرضى ونزلاء السجون وغير البيض المجردون من الاسلحة والكلاب جميعا موضوعا للسادية الجسديه التي تتضمن غالبا اقصى

التعذيب. ومن العروض الفخمة للقسوة في روما الى وحده الشرطة الحديثة، كان التعذيب يستخدم تحت قناع المقاصد الدينية والسياسية وفي بعض الاحيان لتسلية الجماهير المعدمة بكل صراحه ويعتبر المدرج في روما هو بالفعل مأثره من اكبر مآثر السادية البشرية.(فروم،2006،ص21-26)

اضطرابات العقل والجريمة:

في 15 مايو 1800، في مسرح دروري لين في لندن، حاول جيمس هادفيلد اغتيال الملك جورج الثالث. على الرغم من أن الحقائق كانت خارج نطاق الجدل، إلا أنه تم الوصول في وقت لاحق الى نتيجة مفادها أن هادفيلد بريئا بحجة الاضطراب العقلي، حيث اعتبرت المحكمة أن أفعاله كانت نتيجة لعقله المتوهم. وبالتالي تم احتجازه بموجب "قانون الاحتجاز الآمن للأشخاص المصابين بالجنون المتهمين بارتكاب جرائم" (O'Reilly-Fleming, 1992)

هذا المثال يوضح كيف يمكن اكتشاف الارتباط بين الاضطراب العقلي والجريمة من خلال فحص مستويات النشاط الإجرامي المعروفة بين الأشخاص المصابين بالاضطراب العقلي، ومستوى الاضطراب العقلي بين المتهمين المعروفين، وأهمية وجود اضطراب عقلي في توقع احتمال ارتكاب جرائم مستقبلية.

تشير الأبحاث إلى أن بعض الأشخاص الذين يعانون من اضطراب نفسي مثل الفصام يرتكبون جرائم نتيجة للأعراض الإيجابية لمرضهم (مثل الأوهام و/أو الهلوسات). تؤدي هذا العملية، التي وصفها Smith (2000) بـ "الدافع النفسي"، عادةً إلى ارتكاب جرائم خطيرة (Taylor, 1985; Taylor et al, 1998). بالنسبة لبعض الأشخاص، قد يكون هذا بسبب طبيعة الاضطهاد لأوهامهم و/أو الاتجاه نحو إدراك العالم على أنه مهدد (Arsenault et al, 2000b). تشرح مقاربة الأعراض سببية ارتكاب بعض الجرائم الأخرى من طرف

المصابين بالفصام، مثل الاعتداءات الجنسية، جرائم الملكية، خرق الافراج المشروط والتخريب .(Hodelet, 2001).

كما ركزت دراسات أخرى بشكل خاص على الجرائم الجنسية وأبرزت تأثير جعل الشخص أكثر اندفاعا نتيجة الذهان، الذي يتسبب في تفكيك آليات الضبط العادية للشخص وتركه غير قادر على النظر إلى ما هو وراء هدفه الفوري و طبيعة وعواقب أفعاله الاندفاعية. يعتمد ذلك على الأبحاث التي تشير إلى أن الاستغلال والرغبة الجنسية هما عوامل محفزة مهمة بين المغتصبين المصابين بأمراض عقلية(Canter,2008,pp.58-60).

فرط الوسواس القهري وتخيلات القتل.

في مايو 2001، تم طعن فتاة مدرسية حتى الموت في وضح النهار أمام المتسوقين في ساحة سنتيناري المزدحمة في برمنغهام. لقد كانت تستلقي تحت أشعة الشمس مع أصدقائها عندما تعرضت للهجوم. في المحكمة، أنكر المتهم إندرجيت كاينث قتل الفتاة ولكنه اعترف بالقتل غير العمد بحجة الخلل العقلي. وقيل في المحكمة إن كاينث كان يعتقد أن حياته في خطر من سلطة التعليم في برمنغهام والخدمة المدنية والطريقة الوحيدة التي يمكنه إنقاذ نفسه بها هي قتل امرأة. وبناءً على ذلك، قضى أسابيع قبل جريمته بحمل "خنجر الانتقام". في ذلك اليوم، جلس كاينث بجانب الفتاة وأخرج سكين مطبخ كان قد أخفاه داخل زجاجة شامبو وطعنها. أكد الأطباء النفسيون أن كاينث كان يعاني من اضطراب الفصام الاكتئابي وكان يعتبر خطرًا على الجمهور، وتم احتجازه لمدة غير محددة في مستشفى أشوورث للأمان العالي بالقرب من ليفربول.

المسؤولية الجنائية

الإطار القانوني للذنب والمساءلة

في بعض الأنظمة الجنائية، يُسمح بتطبيق العقوبة فقط إذا كان المتهم مسؤولًا جنائيًا عن الجريمة. يمكن للاضطراب العقلي أن يمنع المسؤولية الجنائية في معظم الأنظمة القانونية على الأقل بطريقتين. يُطلب في معظم الجرائم ليس فقط أن يكون المتهم قد ارتكب فعلا جنائيًا معينًا (actus reus) فعل غير قانوني، ولكن أيضًا أن يكون قد تصرف بحالة عقلية معينة(mens rea) نية الفاعل .يجب إثبات الحالة العقلية المحددة في عناصر الجريمة قبل الحكم على المتهم، على سبيل المثال 'التهور' أو 'النية'، بما يفوق الشك المعقول. من الممكن أن يؤدي الاضطراب العقلي إلى ما يُسمى بدفاع فشل الإثبات، مما يعني أن الشكل المطلوب من mens rea لا يمكن إثباته. وواحدة من الأمثلة المقتبسة غالبًا، على الرغم من كونها غريبة قليلاً، هي المتهم الذي، تحت تأثير هلوسة نفسية، اعتقد أنه يضغط على حبة ليمون بينما في الواقع كان يخنق شخصًا حتى الموت. هذا المتهم لا يتصرف بنية القتل، بل فقط بنية (غير جنائية) لضغط الليمون.في هذه الحالة لا يمكن إثبات mens reaللقتل العمد وبالتالي يتم تبرئة المتهم.

غالبًا ما لا تكون اضطرابات العقل عائقًا لإثبات النية الضرورية. على سبيل المثال، يمكن للمدعى عليه الذي يعاني تحت تأثير هلوسة اضطهادية بأن يعتقد أن ضباط الشرطة يتآمرون ضده أن يتصرف بعنف ضدهم. بينما تعاني هذه الشخصية من اضطراب عقلي شديد، فإنها تتصرف بنية إلحاق الضرر بالأفراد. في هذه الحالة، يمكن إثبات كل من الفعل (actus reus) والنية (mens rea) على سبيل المثال، الاعتداء العمد. ومع ذلك، نظرًا للمرض الشديد، قد يثير المدعى عليه الدفاع بجنونه. الدفاع بالجنون هو دفاع إيجابي ما يعني أن المدعى عليهلا ينكر الاتهامات actus reus) و(mens rea، ولكنه يقدم

سببًا لعدم تحمله المسؤولية عن هذا الفعل. تعترف معظم الأنظمة القانونية الغربية بالجنون كدفاع إيجابي. ومع ذلك، لقد ألغت السويد وبعض الولايات في الولايات المتحدة الجنون كدفاع إيجابي. يمكن للاضطرابات العقلية في هذه الاختصاصات أن تبرر فقط إذا لم يكن المدعى عليه يتصرف بنية بسبب الاضطراب (Meynen, and Bijlsma,2022,p557).

المسؤولية الجنائية الحالة العقلية

غالبًا منعدمة ذهان حاد

كاملة غالبًا اضطراب شخصية

تختلف حسب الحالة اكتئاب شديد مع ذهان

مسؤولية كاملة سيكوباتية

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

1-اسماعيلي يامنة وصابرة قشوش.(2018).علم النفس الجنائي،عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع.

2-القشاعلة بديع.(2021).مدارس علم النفس، فلسطين : المركز السيكولوجي للنشر الالكتروني.

2-الزعبي أحمد محمد (2017). أسس علم النفس الجنائي، دار زهران للنشر والتوزيع، الاردن.

3-بيير داكو(1988). الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث، ترجمة: إسكندر رعد وبيثون أركان، ج3، بغداد: دار التربية.

4-شحاته ربيع وآخرون(1994):علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

5-غانم محمد حسن.(2006). الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.

6-فروم أريك.(2006).تشريح التدميرية البشرية، ترجمة:محمود منقذ الهاشمي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

7-ماجدة محمود وسهير التوني(2014): اسس علم النفس الجنائي ونظرياته، مركز النشر العلمي، مطابع جامعة الملك عبد العزيز.

8-نشأت إبراهيم أكرم.(2009). علم النفس الجنائي، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

9- ولسون كولن(2001):التاريخ الاجرامي للجنس البشري، ترجمة رفعت السيد علي،ط1، جماعة حور الثقافية، القاهرة.

المراجع باللغة الأجنبية

10-American Psychiatric Association. (2000). Diagnostic and statistical manual of mental disorders (4th ed., text rev.).

11-American Psychiatric Association. (2013). *Diagnostic and statistical manual of mental disorders* (5th ed.). https://doi.org/10.1176/appi.books.9780890425596

12-Agnew, R. (2011). Toward a Unified Criminology: Integrating Assumptions About Crime, People, and Society. New York, NY: New York University Press.

13-Bartol, C. R., & Bartol, A. M. (2012). Introduction to Forensic Psychology: Research and Application (3rd edition). Thousand Oaks, CA: Sage Publications.

14-Balier, C(1988).Psychanalyse des comportements violents,Paris :PUF

15-Balier, C(1996).Psychanalyse des comportements sexuels violents,Paris :PUF

16-Blackburn, R. (1996). What is forensic psychology? Legal and Criminological Psychology, 1, 3–16.

17-Blatier, C. (2019). *Introduction à la psychocriminologie*. Dunod. https://doi-org.sndl1.arn.dz/10.3917/dunod.blati.2019.01

18-Bogaerts,S and all.(2013). Career Criminality, Childhood Experiences, and Adult Personality among Forensic Patients in the Netherlands, in Criminal psychology, Jacqueline, B(Editior),USA: Praeger.

19-Brown, S,Esbensen, F and Geis, G.(2013):**Criminology**-*Explaining crime and its context*-Eighth edition ,USA: Elsivier.

20-Bull, R and *All*.(2006). Criminal psychology a biginner's guide, UK: Oneworld publications.

21-Burke, R.h.(2009). An introduction to criminological theory, Third edition, USA:Willan publishing.

22-Casoni, D., & Brunet, L. (2003). *La psychocriminologie : Apports psychanalytiques et applications cliniques*. Montréal : Presses de l'Université de Montréal.

23-Ciavaldini,A (1999). Psychopathologie des agresseurs sexuels, Paris : Masson.

24-Cunliffe, T and all (2013). Psychopathy, Borderline Personality Disorder, and Domestic Violence: An Empirical Review, in Criminal psychology, Jacqueline, B(Editior),USA: Praeger.

25-Cusson maurice,criminologie actuelle ,1998[texte disponible dans http://classiques.uqac.ca/]

26-Cournarie laurent,éthique a nicomaque-*commentaire du livre v*-philopsis edition numerique,2007 [texte disponible dans

27-Covey, R. D. (2009). Criminal Madness: Cultural Iconography and Insanity. *Stanford Law Review*, *61*(6), 1375–1427. http://www.jstor.org/stable/40379714
Canter, D. V., & Youngs, D. (2009). Investigative Psychology: Offender Profiling and the Analysis of Criminal Action. Chichester: John Wiley & Sons.

28-Canter, D.(2008). Criminal psychology, UK :Hodder education.

29-DeLesi, M.(2016). Psychopathy as unified theory of crime, NY:Palgrave Macmillan. DOI 10.1057/978-1-137-46907-6

30-Demont, É. (2009). Introduction. Qu'est-ce que la psychologie ?. Dans : É. Demont, *La psychologie* (pp. 5-18). Auxerre: Éditions Sciences Humaines.

31-Durrant , R.(2018). An introduction to criminal psychology,(2nd edition),UK:Routledge.

32-Ey,H, Bernard,P& Brisset,CH. (1989).Manuel de psychiatrie(6th éd).PARIS: Masson.

33-Eugene McLaughlin and John Muncie :the sage dictionary of criminology ,sage publications, London,2001

34-Eckenrode, J., Campa, M., Luckey, D. W., Henderson, C. R., Jr., Cole, R., Kitzman, H., Anson, E., Sidora-Arcoleo, K., Powers, J., & Olds, D. (2010). Long-term effects of prenatal and infancy nurse home visitation on the life course of youths: 19-year follow-up of a randomized trial. *Archives of Pediatrics & Adolescent Medicine, 164*(1), 9–15. https://doi. org/10.1001/archpediatrics.2009.240

35-Fischer nocolas-gustave,psychologie des violence sociale,edition dunod,paris,2003.

36-Ferri enrico,La sociologie criminelle,1914,chapitre I et II [texte disponible dans http://classiques.uqac.ca/]

37-Fréchette, M et LeBlanc,M.(1987). Délinquances et délinquants. Chicoutimi, Québec: Gaëtan Morin, Éditeur.

38-Garces, E., Thomas, D., & Currie, J. (2002). Longer-term effects of Head Start. *The American Economic Review, 92*(4), 999–1012. http://www.jstor.org/stable/3083291

39-Gassin, R. Cimanonti, S. Bonfils, P.(2011). Criminologie, 7eme edition, Paris : Dalloz.

40- Houssier florian, un pionnier dans l'histoire de la psychanalyse,2004, [texte disponible dans http://rhei.revue.org/index7069.html]

41-Hildebrand,M. Ruiter, C.(2022). Therapeutic Considerations and Interventions for Psychopathy, in Complexity psychopathy, Vitale, J(Edit),USA: Springer.

42-Mucchielli,R.(1965)comment il deviennent delinquent, Paris :éd E.S.F.

43-Heckman, J., Pinto, R., & Savelyev, P. (2013). Understanding the mechanisms through which an influential early childhood program boosted adult outcomes. *The American Economic Review, 103*(6), 2052–2086. https://doi.org/10.1257/aer.103.6.2052

44-Hicks, B. M., Bernat, E., Malone, S. M., Iacono, W. G., Patrick, C. J., Krueger, R. F., & McGue, M. (2007). Genes mediate the association between P3 amplitude and externalizing disorders. *Psychophysiology, 44*(1), 98–105. https://doi.org/10.1111/j.1469-8986.2006.00471.x

45-Harrati, S. & Vavassori, D. (2022). la psycho-criminologie. Dans : , S. Harrati & D. Vavassori (Dir), *Manuel de psychocriminologie clinique* (pp. 85-190). Paris: Dunod.

46-Harrati, S., Vavassori, D. (2022). *Manuel de psychocriminologie clinique*. Dunod. https://doi-org.sndl1.arn.dz/10.3917/dunod.harra.2022.01

47-Huss, M. T. (2009). Forensic Psychology: Research, Clinical Practice, and Applications. Chichester: Wiley-Blackwell

48-Jones, D. W. (2008). *Understanding criminal behaviour: Psychosocial approaches to criminality.* Willan Publishing.

49-Julien, P. (2008). 1. La subversion hystérique. Dans : , P. Julien, *Psychose, perversion, névrose: La lecture de Jacques Lacan* (pp. 151-159). Toulouse: Érès.

50-Julien, P. (2008). *Psychose, perversion, névrose: La lecture de Jacques Lacan*. Érès. https://doi-org.sndl1.arn.dz/10.3917/eres.julie.2003.01

51-Jurjako, M., Malatesti, L. & Brazil, I.A. How to Advance the Debate on the Criminal Responsibility of Antisocial Offenders. *Neuroethics* 17, 1 (2024). https://doi.org/10.1007/s12152-023-09535-0

52-Kosslyn, S. M., & Rosenberg, R. S. (2004). Psychology: The Brain, the Person, the World (2nd edition). Boston, MA: Pearson

53-Korkina, M. Tsivilko, M. Kossova,E.(1980).Leçons pratiques de psychiatrie, Moscou :Editions Mir.

54-Lelord, F. André, C.(1996).Comment gérer les personnalités difficiles , France : edition DUNOD.

55-Lilienfeld, S. O., & Arkowitz, H. (2007). What "Psychopath" Means. *Scientific American Mind*, *18*(6), 80–81. http://www.jstor.org/stable/24939768.

56-McDonough-Caplan, H. M., & Beauchaine, T. P. (2018). Conduct disorder: A neurodevelopmental perspective. In M. M. Martel (Ed.), *Developmental pathways to disruptive, impulse-control, and conduct disorders* (pp. 53–89). Academic Press.

57-Meynen, G and Bijlsma, J.(2022). Culpability and Accountability: The Insanity Defense in Garofalo , C. Sijtsema,J.(Eds) clinical forensic psychology,Switzerland:Palgrave. https://doi.org/10.1007/978-3-030-80882-2
58-Morse, S. J. (2011). MENTAL DISORDER AND CRIMINAL LAW. *The Journal of Criminal Law and Criminology (1973-)*, *101*(3), 885–968. http://www.jstor.org/stable/23074026

59-Newburn, T. (2013). Criminology (2nd edition). London: Routledge.
Novick, J. & Kelly, K. (2002). Une théorie développementale du sadomasochisme. *Revue française de psychanalyse*, 66, 1133-1155. https://doi.org/10.3917/rfp.664.1133

60-Olds, D. L., Sadler, L., & Kitzman, H. (2007). Programs for parents of infants and toddlers: Recent evidence from randomized trials. *Journal of Child Psychology and Psychiatry, 48*(3–4), 355–391. https://doi.org/10.1111/j.1469-7610.2006.01702.x

61-O'Reilly-Fleming, T. (1992). From Beasts to Bedlam: Hadfield, the Regency Crisis, M'Naghten and the 'Mad' Business in Britain, 1788–1843. *Journal of Psychiatry and Law*, 20, 167–190

62-Schmalleger, F.(2014).Criminology (2nd edition), Columbus: Pearson.

63-Senon, J., Lopez, G., Cario, R. (2012). *Psychocriminologie*. Dunod. https://doi-org.sndl1.arn.dz/10.3917/dunod.senon.2012.01

64-Skeem, J. L., Polaschek, D. L. L., Patrick, C. J., & Lilienfeld, S. O. (2011). Psychopathic Personality: Bridging the Gap Between Scientific Evidence and Public Policy. *Psychological Science in the Public Interest*, *12*(3), 95–162. http://www.jstor.org/stable/23074592

65-Siegel.j.L (2010):Criminology,Tenth editions, USA: Wadsworth.

66-Tibbets, S.(2019).Criminological theory, Third edition, UK: sage publications.

67-Tremblay, R. E., Tiemeier, H., Viding, E., & McCrory, E. J. (2018). DRD4 methylation as a potential biomarker for physical aggression: An epigenome-wide, cross-tissue investigation. *American Journal of Medical Genetics. Part B, Neuropsychiatric*, *177*(8), 746–764.https://doi.org/10.1002/ajmg.b.32689

68-Winters,R.Globocar,J.Roberson,C.(2014). An tntroduction to crime and crime causation,USA:CRC press.

69-Wortley, R. (2011). Psychological Criminology: An Integrative Approach. London: Routledge.

70-World Health Organization. (1994). CIM-10/ICD-10 : Classification internationale des maladies. Dixième révision. Chapitre V(F), Troubles mentaux et troubles du comportement : critères diagnostiques pour la recherche / traduction de l'anglais coordonnée par C. B. Pull. Organisation mondiale de la Santé. https://iris.who.int/handle/10665/40538

المواقع الالكترونية

1-https://www.historic-newspapers.co.uk/blog/the-list-murders/

2-https://en.wikipedia.org/wiki/John_List_(murderer)

3-John List: The 'Righteous' Killer https://www.youtube.com/watch?v=pVMrm2D4tos

https://psy-92.net/2021/03/14/sadomasochisme

الملاحق

الملحق رقم 01: فهرس بأهم المصطلحات الواردة في المطبوعة

A

AUTO-AGRESSION العدوان الذاتي

MENTAL CONFUSION التشوش الذهني

CRIME الجريمة

D

CRIMINAL DANGEROSITYالخطورة الاجرامية

DELINQUANCY الجنوح

BIOLOGICAL DETERMINISM الحتمية البيولوجية

F

FRUSTRATION/AGRESSION الإحباط العدوان

H

HALLUCCINATION الهلوسات

HYSTERY الهستيريا

M

MEGALOMANIA جنون العظمة

N

FAILURE NEUROSISعصاب الفشل

O

OBSSESSION الهوس

P

PARANOIA هوس الشك

ANTISOCIAL PERSONALITY الشخصية المضادة للمجتمع

BORDERLINE PERSONALITYالشخصية الحدية

NARSSICISTIC PERSONALITYالشخصية النرجسية

HISTRIONIC PERSONALITYالشخصية الهستيرية

PHRENOLOGY الحِصَافة

PHOBIA الفوبيا

POSITIVISME BIOLOGIQUE الوضعية البيولوجية

PSYCHOLOGY علم النفس

CRIMINAL PSYCHOLOGYعلم النفس الجنائي

FORENSIC PSYCHOLOGYعلم النفس الشرعي

PSYCHANALYSIS التحليل النفسي

PRIMARY PSYCHOPATHYالسيكوباثية الاولية

SECONDARY PSYCHOPATHY السيكوباثية الثانوية

SENILE DEMENTIAخرف الشيخوخة

PUNISHMENT العقوبة

R

CRIMINAL RESPONSIBILITYالمسؤولية الجنائية

MENTAL RETARDATION التخلف الذهني

S

SADISM /MASOCHISM السادية/المزوخية

CRIMINAL SOCIOLOGYعلم الاجتماع الجنائي

SCHYZOPHRENIA الفصام

T

MENTAL DISORDERSالاضطراب العقلي

NEUROSIS DISORDERSالاضطراب العصابي

PSYCHOTIC DISORDER الاضطراب الذهاني

BEHAVIOUR DISORDERSاضطراب السلوك

OBSESSIVE DISORDER اضطراب الوسواس القهري

V

VIOLENCE العنف